

أكثر الروايات
مبيعاً فى العالم

ألفريد هيتشكوك

القاتل الأخير

INTERNATIONALITY
العالمية للكتب والنشر

القاتل الأخير

ألفريد هتشكوك

رقم الإيداع 14383 - 2006

الترقيم الدولى 4 - 80 - 6189 - 977

الناشر: العالمية للكتب والنشر

المدير المسئول : سعيد عثمان

الجيزة 15 الفاروق عمر بن الخطاب ـ الطالبية ـ فيصل

جمهورية مصر العربية

ت/ 3595973 (012)

القاتل الأخير

القاتل الأخير

شركة اجلوبال تعتبر من أكبر شركات التأمين فى العالم .

ومنذ تسع عشرة سنة يعمل ' روبير لوكاس ' فى مبنى أحد فروع هذه الشركة فى دوسيندورف وهى مدينة من مدن ألمانيا الغربية .

لم يتوقع روبير أن يسمع يوما من رئيسه فى العمل ما سمعه فى ذلك اليوم .

' جوستاف براندينبورج ' رئيس فرع الخسائر المادية فى الشركة رجل رث الهيئة ، سمج الطبع ، وخسيس النفس ، غير أن حدسه الذى يكاد لا يخطئ أوصله إلى مركزه الحالى .

لم يكن ' روبير ' يكره رئيسه ' براندينبورج ' هذا ولكنه يشمئز منه ، نظر ' جوستاف براندينبورج ' إلى عميله ' روبير لوكاس ' ، دون أن يحرك السيجارة بين شفتيه وقال :

ـ مات هيربير هيلمان .

ـ لا ..

كانت تلك أول كلمة تفوه بها روبير وقد عقدت الدهشة لسانه ثم سأل :

ـ ليس هو هيربير هيلمان أغنى صاحب بنك فى ألمانيا ؟

ـ هو بعينه .

ثم راح " براندينبورج " يشرح " لروبير " كيف أن يخت " هيربير هيلمان " انفجر فى عرض البحر وعلى متنه " هيربير هيلمان " نفسه وأحد عشر شخصا آخر .

وهنا تذكر " روبير " أنه سمع هذه القصة ولكنه لم ينتبه إلى اسم " هيلمان " فقال :

ـ ولكن عدد الركاب كان ثلاثة عشر .

ـ بالفعل ، غير أن الشخص الثالث عشر كان امرأة تدعى " أنجيلا ديلبير " وقد تركت المركب فى جزيرة كورس ولم تكمل طريقها معهم ، وكلف " براندينبورج " ، " روبير " بالسفر إلى مدينة كان فى فرنسا للتحرى عن أسباب الحادثة ، راجيا أن تكون حادثة انتحار فتعفى الشركة حينها من دفع خمسة عشر مليون

مارك ، وهى قيمة تأمين اليخت الذى أحاله الانفجار إلى فتات مبعثر فى عرض البحر .

' روبير لوكاس ' يبلغ الثامنة والأربعين من العمر . متزوج ولا أولاد له . زوجته ' كارين ' لا تحبه ـ أو أنها لا تحبه كما يجب ـ لذلك أصبحت حياتهما معا شبه مستحلة .

وهو بالإضافة إلى ذلك يشعر منذ مدة بآلام حادة فى رجله اليسرى . تمتد إلى ساقه ثم إلى جنبه وحينها يصبح الألم غير محتمل .

ذهب إلى الطبيب وأسفر الفحص أنها ذبحة قلبية .

' روبيرو ' يعرف ذلك ويعرف أيضا أن موعد الفحص الطبى الإجبارى فى الشركة أصبح قريبا وهو لا يستطيع أن يسافر قبل أن يجرى هذا الفحص .

وبالفعل عرف طبيب الشركة بسرعة أن ' روبيرو ' مصاب بالذبحة ، ولكن هذا الأخير نفى بشدة كونه يشعر بأى ألم وأخذ يؤكد للطبيب أن صحته جيدة إلى أن توصل إلى النتيجة المرجوة ، وهى أن يتساهل الطبيب فى تقريره ، ويسافر ' روبيرو لوكاس ' إلى 'نيس ' ، ومنها إلى ' كان ' عسى أن ينكشف الستار عن قضية

موت هيربير هيلمان لمصلحة شركته .

* * *

" كان " مدينة السحر والجمال ، ولكن " روبير " لم يلق منها فى بداية الأمر إلا العذاب ومرارة الفشل ، منذ قابل " لاكروس " مفوض الشرطة الفرنسى ، إلى أن توصل إلى مقابلة الناجية الوحيدة من حادثة الانفجار أى السيدة (أنجيلا ديلبير) سار " لوكاس " من خيبة إلى خيبة .

أول زيارة عمل قام بها كانت للسيدة " هيلدا هيلمان " أخت " هيربير هيلمان " وقد نفت فكرة الانتحار نفيا قاطعا بل رجحت أن أصحاب أخيها بالذات دبروا عملية مقتله ، لأنه بات يشكل خطرا يهدد مصالحهم .

ومن هم أصحاب أخيها هؤلاء ؟ كلهم غير ألمان . بينهم اليونانى والإيطالى والأمريكى والنرويجى ، وجميعهم تقدر ثرواتهم بالمليارات .

أما جامعهم فشركة أسسوها تعمل على أساس الانتفاع من هبوط أسعار عملة وارتفاع هذه فى العالم .

وخرج روبير من منزل " هيلدا هيلمان " كما دخل . لم يفهم شيئا كثيرا ولا انجلت أمامه لمحة من ملامح الحقيقة .

وفى بهو الفندق لحقت به سيدة مجهولة دعته إلى منزلها وأعطته العنوان مدعية أنها تعرف الحقيقة .

ولما وصل إلى المنزل استقبله رجلان بالضرب المبرح ولم يتركاه إلا بعدما انطرح على الأرض فاقدا وعيه .

عندئذ فهم " روبير لوكاس " مدى صعوبة مهمته ، وأيقن أنه سيدفع ثمن الحقيقة غاليا .

* * *

" أنجيلا ديلبيير " رسامة معروفة فى الوسط الراقى وهى فضلا عن ذلك الوحيدة التى نجت من حادثة انفجار اليخت .

قصدها لوكاس تبعا لإرشادات المفوض " لاكروس " ؛ لعله يجد عندها أية معلومات حول الحادثة وخصوصا عن هيربير هيلمان الذى كانت ترسم له صورته قبل وفاته .

كانت طويلة القامة رشيقة ، شعرها أحمر وعيناها بنيتان ، وأهدابها طويلة ووجهها بيضاوى الشكل ، أما ثغرها فكبير بعض

الشيء ولكنه مرسوم بدقة .

وأكثر ما استدعى انتباه روبير هو مسحة الحزن فى نظراتها حتى عندما تبتسم .

لقد فهم منها أن نفسية هيربير هيلمان كانت مضطربة جدا فى المدة الأخيرة ، وأنه كان يجيء إلى محترفها ليرتاح ، أكثر من مجيئه لتتم له رسمه وكان أثناء وجوده عندها يجرى عدة اتصالات تليفونية .

ـ أرجوك يا كارين .

ـ إنك لا تهمنى فى شيء . هل تسمع ؟ وسيان عندى ما تفعله .

ثم اقفلت الخط وعاد روبير إلى الصالة حيث كانت أنجيلا فى انتظاره .

عرضت عليه أنجيلا أن يصحبها إلى منزلها .

كان العرض مغريا ، ولكنه صدر عنها بعفوية وبساطة مدهشتين .

فى المنزل طلب روبير من أنجيلا أن تدبر سهرة تجمع فيها

أصحاب هيربير هيلمان فوعدته بأن تفعل .

وطالت السهرة .

وروت أنجيلا لضيفها كيف مات والدها وجميع أفراد عائلتها فى الحرب العالمية الثانية ، وجاءت هى إلى " كان " لتعيش مع عمتها ، ثم استأجرت محترفها هذا للعمل والسكن معا .

ولم يملك روبير نفسه من السؤال .

ـ ولكنك ، يا أنجيلا حزينة . لماذا ؟

ـ أنا ... أبدا .

ـ بلى .

فسكتت قليلا ثم راحت تروى له قصتها ببطء ، لم تستطع أن تخفى وراءها مدى تأثيرها ، لقد أحبت ، منذ خمس سنوات رجلا وعدها بالزواج . وكانت تحس أنها أسعد امرأة فى العالم . وبعد خمس سنين ، جاء حبيبها يخبرها بأنه كذب عليها ، وأنه متزوج ولا يستطيع أن يتزوجها لهذا السبب .

كانت الصدمة التى تلقتها أنجيلا عنيفة جدا ، غير أنها تلقتها بشجاعة .

رن التليفون ، فإذا لاكروس ، مفوض الشرطة ، يطلب لوكاس ليقول له :

ـ قتل الخبير " لوران قبال " والمجرم مجهول الهوية .

* * *

لم يستغرب لوكاس حينما قرأ البرقية التى أرسلها بدراندينبورج يطلب منه أن يعود إلى " دوسندروف " فورا . مع المحافظة قدر الإمكان على كل إثبات مادى لديه .

وعندما ودع روبير أنجيلا ، شعر بأنه يحبها فعلا . ولكنه لم يقل شيئا ولا هى قالت ، بل تواعدا على اللقاء فور عودته من ألمانيا .

اجتمع روبير ببرادينبورج فى مكتب هذا الأخير . وفهم روبير أن لكلمتى " تغطية " و " غطاء " معنى كبيرا فى لغة هيلمان .

وقد اطلع براندينبورج على ذلك بواسطة السيد " أوتوكيسير " الموظف اللامع فى هيئة مكافحة التزوير فى وزارة الاقتصاد .

فى المكتب ذاته اجتمع براندينبورج وروبير يكيسلير كما يشرح هذا الأخير الوضع لروبير :

" كان بنك هيلمان يغطى عمليات شركة (الكود) المالية .

وشركة الكود هى التى تجمع أصحاب هيلمان كلهم . وآخر عملية قام بها هيلمان وضعته فى موقف حرج لأسباب مجهولة ، وأمله طلب المساعدة من أصحابه فلم يسعفوه ، وقد يكون لجأ إلى الانتحار " .

ولكن الفكرة أصبحت مستبعدة الآن بعدما قتل الخبير " لوران قبال " لأن فى ذلك أكبر برهان على أن ثمة من خشى أن يجد " لوران " دليلا يدينه من خلال أبحاثه . وبالفعل اختفت كل قطع اليخت وأنابيب مختبر " لوران قبال " فى " كان " .

* * *

أخيرا جلس روبير فى مقعده فى الطائرة المسافرة إلى " نيس " .

أنجيلا ستكون فى انتظاره فى المطار .

إنه يفكر فى طريقة يزيح الستار الذى أوجدته بينهما كذبة اقترفها ، لا يدرى كيف أو لماذا ، حين سألته أنجيلا :

ـ هل أنت متزوج ؟

أجاب :

ـ كلا .

وقالت :

ـ عظيم .

وأردفت :

ـ أليس كذلك ؟

في المطار استقبلته .

شعر بها بعيدة عنه بعض الشيء في بداية الأمر ولكن هذا الوضع ما لبث أن تغير .

كانت أنجيلا قد أعدت كل شيء لتجمع أصحاب هيربير هيلمان في منزل أحدهم . وبالطبع كانت هي وروبير مدعوين .

خلال السهرة تعرف روبير بأصحاب هيلمان وزوجاتهم .

وأكثر ما لفت الأنظار كان الملياردير الأمريكي " كيلوود " والذي راح يتهم نفسه وجميع أصحابه بجريمة قتل " هيربير هيلمان " .

كان اتهامه صريحا ولكن أصحابه لم يعيروه اهتماما :

" لقد أفرط فى الشراب كالعادة وهو لا يعى أقواله " .

بعدما انتهت السهرة ، أوصل روبير أنجيلا إلى منزلها وعاد إلى الفندق وهناك ـ من غرفته ـ حاول الاتصال بها تليفونيا ، ولكن الخط كان مشغولا بلا انقطاع .

كانت الساعة قد قربت من الثالثة صباحا فمع من تتحدث أنجيلا فى مثل هذا الوقت ؟

وعندما ردت عرف أنها كانت تحاول هى الأخرى الاتصال به ؛ ولذلك انشغل خطها .

كانت تريد أن تشكره على تصرفه اللبق معها ، لأنه عندما قبلها شعر بأنها تخشى منه المزيد ، فما كان منه إلا أن انصرف بأسرع وقت ، دون أن يحاول الاقتراب منها .

وشكرها هو على ترتيبها للحفلة ثم ودعها إلى الغد .

فى الغد ذهبا فى رحلة على ظهر يخت واحد من أصحاب هيلمان ، فقد دعاهما إلى ذلك خلال حفلة اليوم السابق .

وأشار صاحب هيلمان هذا إلى " كيلوود " الثرى الأمريكى وإلى اتهامه العلنى جميع أصحاب هيربير ، ثم نظر إلى روبير

بجدية وقال :

ـ أتعرف يا سيد لوكاس أن كليوود على حق ؟

فأجاب روبير :

ـ كلا

ـ إن هيلمان ونحن ـ أى أصحابه ـ نرأس إحدى كبرى الشركات فى العالم ، ولو شاءت الشركة أن تساعد هيلمان لما حدث ما حدث .

ـ ما قصدك ؟

ـ قصدى أن كيلوود ربما لم يكن كاذبا .

اللعبة بدأت تأخذ شكلا إيجابيا . ولم تعد جريمة القتل مستبعدة بالنسبة لروبير .

صحب أنجيلا إلى منزلها وفى هذه المرة دعته هى إلى الدخول .

وعزم روبير على أن يقول لها الحقيقة ولكن قبل ذلك أهداها قرط الألماس الذى أعجبها .

لم يستطع أن يمنع نفسه من شرائه واقتربت أنجيلا منه تقبله

شاكرة فاحتضنها بين ذراعيه .

وفجأة بدا له أن الكذب شيء لا يطاق فقال :

ـ لم أقل لك كل الحقيقة يا أنجيلا . أنا متزوج .

فجمدت بين يديه . وابتعدت عنه ببطء وبدون تفكير .

ثم راحت تتنقل من غرفة إلى أخرى تطفيء الأنوار ، وعادت بعد ذلك إلى الشرفة وجلست على مقعد وكأنها لا ترى روبير الذى جلس أمامها .

حاول أن يفهمها طبيعة علاقته مع زوجته وعزمه على الطلاق ، ولكنها لم تستمع إليه بل رجته أن يغادر المنزل بعدما أعادت له القرط إلى جيب سترته .

خرج روبير وهو يجد صعوبة فى التنفس ، والألم فى رجله يزداد شيئا فشيئا .

* * *

وجد كيلوود مشنوقا في منزله .

فى البهو اجتمع روبير لوكاس ولاكروس مفوض الشرطة وكيسلير موظف وزارة الاقتصاد ، والثلاثة لا يجدون تبريرا لموت

كيلوود سوى أن ثمة من ضايقته اتهامات القتيل . فقتله ، كما قتل لوران قيالى قبله ، ولإزالة كل دليل قد يدينه .

كان روبير يتتبع الكلام وآلام رجله تزداد وهو مصر على تجاهلها .

بعد مقتل كليوود استدعى بدراندينبورج لوكاس ليعود إلى " دوسيندورف " ولكنه لم يعد إلى منزله .

أعلم زوجته أنه يرغب فى الطلاق ، فأقسمت على أن تعذّر عليه الأمر قدر استطاعتها .

وذهب إلى فندق قريب ، وفى تلك الليلة اتصل تليفونيا بأنجيلا فأخبرها أنه ترك زوجته وأنه يسعى إلى الطلاق .

صمتت أنجيلا برهة بعدما سمعته . حتى اعتقد روبير أنها لم تعد على الخط فقال :

- أنجيلا ؟ !

- نعم .

ثم صمتت قليلا قبل أن تقول :

- عد إلى بسرعة يا روبير .

ـ نعم يا أنجيلا . نعم .

ـ متى ؟

ـ لا أعرف بعد .

ـ قريبا ؟

ـ في أقرب وقت ممكن .

* * *

في ' دوسيندروف ' كان لروبير عدة اتصالات مع الذين شاهدوا هيلمان آخر مرة .

حارس البنك الليلي روى لروبير كيف جاء هيلمان في منتصف الليل وراح يطلع على الملفات في مكتب القائم بأعمال السيد ' سيبرج ' وكان هذا الأخير مسافرا في سويسرا حينذاك . أما خادم الفندق فقد أكد لروبير أنه سمع أثناء خدمته حوارا بين هيلمان وأحد المدعوين إلى الاجتماع الذي عقد في الفندق . وهذا الاجتماع يعقده أصحاب المصارف في ألمانيا كل سنة للتداول في شتى الأمور . في ذلك اليوم ألقى هيلمان كلمة هزت الموجودين كلهم ماعدا واحدا ، وهو الذي لفت نظر الخادم . فقد لمّح هذا

الرجل إلى عدم جدوى الكلمات التى ألقاها هيلمان ، مشيرا بطريقة غير مباشرة إلى أن ثمة تلاعبا غير قانونى يحصل فى مصرف هيلمان .

وبعدما سمع هيربير من زميله هذا الكلام ترك الفندق على الفور .

وكان الليل قد انتصف أو كاد ، وذهب إلى مصرفه يفتش فى الملفات الموجودة فى مكتب سيبرج .

ولم يبق أمام روبير سوى أن يكشف عن هُوية صاحب الاتهام الذى أطار صواب هيلمان .

ولكن أصحاب المصارف موزعون فى جميع يتعرف على طبيعة المتفجرات أو يتوصل إلى معلومات أخرى . وهو فرنسى من مدينة " كان " .

ولحظ لوكاس أن " لوران قبالى " يعرف أنجيلا حق المعرفة .

ولسبب ما شعر بغيرة من هذه المعرفة .

ثم غادرا المطعم متوجهين إلى فندق روبير ، وهناك اتصل لوكاس بزوجته فكان كلامها كالمعتاد ، سياطا تجلده فلا يجيب إلا

باليسير .

ـ أنت مع امرأة أخرى ؟ تبا لك ولها .

ـ كلا يا كارين أنا أعمل !

ـ تعمل ؟ لاشك في أن الشمس عندك ساطعة . هل هي سمراء أم شقراء ؟

وتذكرت أنجيلا دبلبير أنه كان يردد كثيرا كلمة " تغطية " أو " غطاء " أو شيئا من هذا القبيل .

وبعدما انتهى لوكاس من طرح أسئلته وهم بالرحيل ، مد يده إلى السيدة يودعها فلم تحرك ساكنا ، بل قالت بصوت ناعم :

ـ يا سيد .

ـ نعم ؟

وفجأة شعر روبير بإحراج شديد . إذ قالت :

ـ أود يا سيد لوكاس أن أسألك شيئا ولكن يجب ألا تأخذ الأمر مأخذا سيئا ، فهل تعدني بذلك ؟

ـ أعدك .

ـ هل تضحك أحيانا ؟ أعنى هل تعرف كيف يكون الضحك ؟

ـ إنى ... إنى لا أفهم .

ـ اضحك لنر ...

فقهقه روبير لوكاس ضاحكا ضحكة كبيرة ولكنها مصطنعة جدا .

ـ هل تسمى ' هذا ' ضحكا ؟

ـ نعم .

ـ أما أنا فلا .

ـ ليس من السهل أن يضحك الإنسان عند الطلب وبلا مبرر .

ـ هذا صحيح . وأرجو منك أن تعذرنى .

وسألها روبير عن الدافع لمثل هذا السؤال . فأجابت بعد المماطلة أن طريقته فى انتقاء ملابسه قد أضفت عليه مسحة جديدة جدا ، ثم عرضت عليه أن تصحبه فى اليوم التالى ليشترى ملابس تناسب الجو فى ' كان ' فوافق .

فى صباح اليوم التالى عاود روبير زيارته لأخت هيربير هيلمان

السيدة " هيلدا " ذات الألماس الكبيرة (كان هذا لقبها) لأنها بالفعل لا تتخلى عن طوقها الذى يحوى مجموعة ألماسات تشكل ثروة .

وبدت هذه المرة أيضا متهمة لأصحاب أخيها ولكنها تخفى اتهامها تحت ستار من الكلام السخيف .

وقد أكد " سيبرج " للسيد لوكاس أن السيدة هيلمان مصابة بانهيار عصبى على أثر الحادث الذى أودى بحياة شقيقها .

" بول سيبرج " وهو القائم بأعمال هيربير هيلمان والمدير المساعد للبنك .

شعر روبير بأن سيبرج هذا يحاول إبعاده وبأسرع وقت ممكن .

وبالفعل انصرف روبير أخيرا من القصر الذى تسكنه السيدة ، ولكنه التفت فجأة فرأى وجه هيلدا هيلمان ووجه المربية " آنا "

عبر زجاج النافذة وهما تنظران إليه نظرة استغاثة أو خوف ، أو هكذا بدت له نظرتاهما .

لم تعد نظرية انتحار هيربير هيلمان واردة بعد ما عرفه روبير

عن الرجل وبعد ما رجته هيلدا أن يكشف هوية القاتل مهما كلف الأمر ، ولو تم على حسابها الخاص .

عاد إلى فندقه وهناك اتصل برئيسه فى " دوسيتدورف " وأطلع " براندينبورج " على سير الأمور . وطلب منه بشكل خاص أن يتحرى له من كلمة تغطية أو غطاء وما قد تعنيه بالنسبة لهيربير هيلمان .

وكان موعده مع أنجيلا قد اقترب فخرج ينتظرها . وفى الموعد المحدد وصلت بسيارتها المرسيدس البيضاء وذهبا فى جولة شرائية .

انتقت أنجيلا الثياب التى اشتراها روبير بلا جدال ، وكانت بالفعل أنيقة وحديثة جدا .

وأثناء تجوالهما لاحظ روبير أن أنجيلا توقفت مدة أمام دكان أحد الصياغ وأطالت النظر إلى قرط من الماس .

فكر لوكاس حينها فى أن " هيلدا هيلمان " تستطيع إذا شاءت أن تشترى القرط وكل ما فى محل الصائغ من مجوهرات دون أن يؤثر ذلك على ميزانيتها فى شيء ثم شعر بالألم فى رجله ، ولكنه لم يوله اهتماما ، على أمل أن يزول بسرعة .

فى مطعم " فيليكس " نادرا ما يجد السائح مائدة خالية وقت الغداء ؛ لذلك حجز فيه روبير مائدة منذ الصباح .

وبينما كان يتناول غداءه مع أنجيلا ، جاء المفتش الخبير " لوران قيالى " الذى يجرى تجارب فى المختبر على طبيعة المتفجرات أو أنحاء أوروبا وبالفعل تقرر سفر روبير فى أقرب وقت لاستجوابهم .

لأصحاب المصارف لغة خاصة بهم ، فهم يقولون كل شىء دون أن يقولوا شيئا بالفعل . لذلك لم يتوصل روبير معهم إلى نتيجة فعالة .

وعاد إلى " دوسيندورف " بخفى حنين ، ولكنه وجد رئيسه فى العمل متفائلا معتمدا على حدسه الذى لا يخطىء ، وطلب منه أن يعود إلى " كان " ليتابع سير الأمور .

فى مطار " نيس " التقى روبير وأنجيلا من جديد ، وهذه المرة كان لقاؤهما لقاء حبيبين متلهفين ، ولسبب مجهول .

وبشكل غير منتظر ولا متوقع ، حامت فكرة الموت حولهما ؛ ربما لأنهما فكرا فى أن الموت وحده يستطيع أن يفصل بينهما .

لم يعد الآن بين روبير وأنجيلا أى سوء تفاهم ، فهما ينتظران أن

يتم الطلاق ليتزوجا .

قبل أن يقتل كليوود " الثرى الأمريكى " أشار عدة مرات إلى أن جريمة قتل هيلمان بدأت فى الحى الجزائرى فى مدينة " كان " .

وتوصل البوليس الفرنسى إلى حصر الشبهات حول شخص جزائرى معين لأنه بحكم عمله فى البناء يستطيع أن يحصل على الديناميت الذى يستعمل لتحطيم الصخور . وبالفعل أقر الرجل أخيرا بأنه باع كمية ديناميت لسيدة قد تكون إيطالية . وأعطى مواصفات تنطبق تماما على آنا المربية التى تعمل عند هيلدا هيلمان .

وأسرع روبير لوكاس إلى قصر هيلدا لكنه وصل متأخرا فوجد المربية مقتولة فى غرفتها .

لم يبق لدى روبير أو أى من العاملين فى هذه القضية ثمة شك أن هيربير مات مقتولا حفظا لمصالح مادية ضخمة .

مفوض الشرطة لاكروس ومساعده " روسيلي " والموظف فى دائرة الاقتصاد " كيسلير " كلهم موافقون ـ بعدما قتل الخبير " لوران فيالى " و" كيلوود " الملياردير والآن المربية " آنا " ـ بل وراء هذه

العملية خطة إجرامية مدبرة .

نفت ' هيلدا ' بشدة أية علاقة لها بمقتل مربيتها وأصرت على أنها لا تعرف شيئا عن الأمر بل طلبت من روبير أن يجد القاتل أو القتلة ، وهى مستعدة لأن تدفع له مليونى مارك كأجر خاص به .

اختلط الأمر فى رأس روبير ولذلك لم ينتبه كثيرا أثناء جلوسه فى المرسيدس البيضاء إلى جانب أنجيلا التى كانت تقود بمهارة إلى المحاورة التى قام بها سائق السيارة السيتروين السائرة أمامهما ببطء .

وحاولت أنجيلا أن تتعدى السيتروين فزاد السائق سرعته وفى هذه الأثناء كانت سيارة قادمة من الجهة المعاكسة وكان كل ما تستطيع أن تفعله أنجيلا هو الاتجاه بسيارتها نحو البحر ، مجازفة بحياتها لاتقاء حادث كان سيقتلها هى وروبير بلا شك .

غرقت المرسيدس ونجا الراكبان واتضح بعد التدقيق أن هناك ثمة من عطل فرامل المرسيدس ، ففهم روبير أن هناك من يسعى إلى التخلص منه هو الآخر .

مضى يوم من المباحثات فى دائرة الشرطة عاد بعدها روبير ليجد أنجيلا فى أسوأ حال .

لقد تسلمت رسالة موجهة من كارين إلى إحدى صديقاتها في " كان " وقد رأت هذه الصديقة أنه من الأفضل أن تطلع أنجيلا على محتويات الرسالة .

وفي تلك الرسالة ترد كارين على الشائعات حول علاقة زوجها بامرأة ما في " كان " . وتؤكد كارين أنها على علم بذلك ومتفقة مع زوجها تمام الاتفاق وليست هذه الفرنسية أول امرأة يتسلى بها روبير . ولن تكون الأخيرة .

لم يوفر روبير جهدا ليقنع أنجيلا بكذب أقوال زوجته ، غير أن غضب أنجيلا كان قد بلغ حدا جعلها ترفض أن تستمع له ، ورجت منه أن يتركها ويذهب .

هذه المرة أصابت روبير نوبة كادت أن تودي بحياته ، ولولا وجود مفوض الشرطة الذي نقله فورا إلى المستشفى لما بقي على قيد الحياة .

وأعلمه الطبيب أن حالته غير جيدة ، وأن رجله اليسرى يجب أن تبتر خلال مدة أقصاها ثلاثة أشهر .

ورجا روبير من الطبيب أن يكتم الأمر ريثما ينتهي من مهمته ، ثم يكون لكل حادث حديث .

وعاد إلى فندقه ليجد صديقة أنجيلا فى انتظاره .

خبرته الصديقة أن أنجيلا نادمة على تصديقها أقوال زوجته وترجو منه أن يسامحها .

وبالطبع يسامحها .. أتجهل هذه السيدة مدى حبه لأنجيلا ؟

وفجأة ترك السيدة وركب أقرب سيارة أجرة لتقله إلى منزل أنجيلا .

* * *

وأخيرا انجلت الحقيقة أمام روبير . وعن طريق تلك السيدة المجهولة التى حاولت منذ أول يوم وصل فيه إلى " كان " أن تبيعه إياها .

هيلدا هيلمان هى التى دبرت قتل أخيها بمساعدة " سيبرج " القائم بأعمال هيلدا هيلمان .

إلى " دوسيندورف " وصلت أوامر من جهات مسئولة للحد من صلاحيات روبير لوكاس ، لاشك فى أن لكبار الشأن نفوذا أكبر من القانون وأكبر من الحق .

ولكن روبير لم ينته . ذهب لزيارة هيلدا هيلمان وأعلمها أنه

يعرف كل الحقيقة وأنه قد أعطى المستندات والبراهين المادية كالصور التى التقطها زوج السيدة المجهولة فى ليلة الحادث ، وهى تبين هيلدا هيلمان أثناء قيامها بصف قطع الديناميت داخل اليخت ، وأعطى هذه المستندات إلى محام قدير ، وطلب إليه أن يعقد مؤتمرا صحفيا يفضح خلاله العملية كلها فى حالة إصابة روبير بأى مكروه .

ولم تستطع هيلدا أن تنكر الحقيقة أكثر من ذلك ، ولكنها تصر على أنها لا تعرف القاتل وإن كانت موافقة على عملية القتل .

طلب لوكاس مبلغ خمسة عشر مليون مارك ثمن سكوته ووضعها فى المصرف باسمه واسم أنجيلا .

وأضاف إلى المبلغ راتبا شهريا يستلمه كل ثلاثة أشهر ابتداء من الشهر الحالى .

* * *

كان مع أنجيلا عندما أصابته الرصاصة ، ولكن الإصابة لم تكن قاتلة .

واستدعى لوكاس المحامى الذى عينه وطلب إليه أن ينشر قصته

كما سيكتبها ، وبذلك يضمن عدم لجوء من يهمه الأمر إلى قتله ، لأن القصة ستنشر وتسبب فضيحة .

وهكذا كان .. وأعلم روبير هيلدا هيلمان بالأمر .

وخرج روبير من المستشفى وكان قد أنهى الكتاب . ولم يعد يخشى شيئا . أنجيلا إلى جانبه تقود السيارة ، وسيارة الشرطة تتقدمها .

وفجأة انطلق الرصاص من سيارة مجاورة .

جذب روبير أنجيلا إليه وخفض رأسها ثم نزل من السيارة واستطاع أن يصل إلى السيارة المجاورة بينما الشرطة توجه إليها وابلا من الرصاص .

فى الداخل وجد روبير ' كيسلير ' الموظف فى دائرة الاقتصاد والدماء تسيل من وجهه بغزارة .

- إذا كان هو القاتل الأخير .

ثم جاء من فك قبضته عن رقبة كيسلير وعاد إلى أنجيلا ..

متأخرا .

لقد ماتت حبيبته .

ولأول مرة عاد إلى منزلها وهو يقود سيارتها ، وكان غائبا عن الدنيا يكاد لا يعى ما يفعل .

جوهانس ماريو سيمل

الشريك

الشريك

لم أكن سعيدا مسرورا حين استقبلت (مونرودين) فى مكتبى .

لقد كنت أعرف مكانه ، وأسمع أخباره منذ سنة ١٩٤٩ ، حين كنت لا أزال بوليسا سريا لفندق (سلاتر) الشهير .

وكنت أعلم أنه قد عرض قضيته على كل بوليس سرى فى شرقى شيكاغو .. فرفض نصفهم قبولها ، واعتذر له النصف الآخر ، بعد أن تقبلوها لأيام قليلة ، كلفته الكثير من المصاريف والمشقة .. وقد وعدوه ألا ينسوا قضيته ، وأن يعنوا بها ما كان إلى ذلك سبيل .

تركته ينتظرنى خارجا بعض الدقائق .. ثم سمحت له بالدخول على .

وقد أقبل إلى حجرتى كأنما هو مقبل على معركة .. وقد لصق لحمه بعظامه ، بحيث إنه لو ترك لوحش جائع لعافه وتركه .

دعوته ليجلس على مقعد قريب ، ثم قلت له :

- يبدو أننى سمعت باسمك قبل اليوم يا مستر دين ؟

قال : هذا ممكن طبعا . فهل كنت يوما من الذين تعاونوا مع البوليس أو عملوا فيه ؟ .

قلت : لا . ولكن لى كثير من الأصدقاء بين رجال البوليس ، وأذكر أن قضيتك تتعلق بزوجتك على ما أعتقد .

فقال : نعم .. وقد وقعت الحادثة فى شهر مارس من سنة ١٩٤٨ فى (راهاوى) من أعمال (نيوجرسى) . فقد أقدم رجل على قتلها . رجل رقيق الجسم أسمر اللون ، أسود الشعر وقد شاهدته عند عودتى من عملى يهرب من الباب الخلفى . ولم يوفق البوليس فى القبض عليه حتى الآن .

قلت : وأنت ألا تزال خلف هذا الرجل ؟

فضحك ضحكة مغتصبة وقال :

- نعم أنا خلفه ولن أتركه . وأنت تعرف ذلك يا مستر (تيرى) كما أن كل الناس يعرفونه .

قلت بعد أن فتحت دفترا أمامى :

ـ دعنا نبحث الأمر بالتفصيل . هل البوليس ؟

فقاطعنى قائلا :

ـ لقد أقفل البوليس القضية بعد أن انتهوا من التحقيق فيها فلم يعثروا على الرجل ولا على أثر يدل عليه . ولكننى لم أقنط . وقد كلفت حتى الآن أكثر من أربعين بوليسا سريا للبحث عن القاتل الهارب ، ولكن أحدا منهم لم يوفق أيضا . ولست أكتمك أن بعضهم قد أفاد من ضعفى هذا . واستلب منى بعض المال دون أن يقدم لى شيئا مقابل المبلغ الذى أخذه منى .

ورأيت من الحكمة أن أصارحه بموقفى ..

قلت : اسمع يا مستر دين . إن من يعملون مثلى فى هذه المهنة أنما يعملون للمال طبعا . البعض يقبل القضية سواء أكان واثقا من نجاحها أم لا ، طمعا فى الفائدة العاجلة التى سوف يفيدها منها .. وأما أمثالى فإنهم ينظرون إلى أن القضية الفاشلة سوف تسىء إلى سمعتهم ، ولهذا أريد أن أصارحك بأننى إذا لم أكن واثقا من نجاحى في قضيتك ، فإننى سوف أعتذر لك متمنيا لك التوفيق مع سواى .

كنت أتحدث بصوت مرتفع .

ولكنه لم يهتز . ولم يبال .

ولما انتهيت من حديثي قال بعزم :

ـ باستطاعتك مساعدتي .

قلت : ما الذي يدعوك لهذا الإيمان ، بعد أن فشل الباقون .

فقال : ولكنك أنت تستطيع المساعدة لأنى عثرت على الرجل أخيرا .

وألقيت بالقلم جانبا .

ورفعت رأسى أنظر إلى وجهه .

ثم قلت :

ـ إذا كان الأمر كذلك فلماذا لا تذهب إلى البوليس ؟

قال : لأنى واثق أنهم لن يتحركوا ولن يفعلوا شيئا . لقد مضى وقت طويل ، وأصبحت القضية مقفلة فى نظرهم .

قلت : هذا كلام فارغ .

قال : بل هى الحقيقة . أنا واثق أن الرجل الذى عثرت عليه أخيرا هو القاتل ، رغم أنه أصبح أكثر سنا ، وأكبر عمرا ، وأقل

شعرا .

قلت : لماذا أنت واثق إلى هذه الدرجة بأنه الرجل المطلوب ؟

قال : لأن وجهه مرسوم فى ذهنى ، ومن الغريب أن أحدا لم يعثر عليه حتى الآن ، ثم شاءت الصدفة أن أشاهده فى أحد المطاعم .

قلت له :

ـ لعل السبب فى فشل الجميع أن وصفك له لم يكن كاملا ، وكنت أنت الوحيد الذى يستطيع معرفته عند رؤيتك له .. دون غيرك من الناس .

ـ هذا ممكن . ولتعلم أنى بحاجة إلى مساعدتك .

ـ ما الذى تريده منى ؟

قال : أريد أن تكون رسولا إليه ، وأن تتفق معه على اجتماع يعقد بيننا .

قلت : ما الغرض من هذا الاجتماع ؟

قال : ألم تفطن لغرضى ؟

وعندئذ انتصبت واقفا . ورحت أعتذر له ، وأرجوه أن يكلف غيرى ، ولكنه ظل ثابتا فى مكانه .

وقال بصوت يقطر عاطفة ورقة :

ـ أرجوك يا مستر تيرى .. كل ما أرغبه أن أتحدث إليه دقائق معدودات لأتأكد من أنه الرجل المطلوب .

قلت : هذه محاولة خطرة . فإذا كان الرجل من تقول ، وعرف أنك تشك به فقد ...

فقال : هنا تستطيع مساعدتى . حاول أن ترتب لنا اجتماعا دون أن تذكر له اسمى .

أخذت نفسا طويلا ، وعدت إلى مقعدى ، لقد كانت محاولة يائسة .

ولكنها كانت القضية الوحيدة التى قدمت إلى مكتبى منذ أسبوعين

وكان على أن أدفع إيجار المكتب ، والمصاريف النثرية الأخرى ، ولم يكن فى جيبى من المال إلا القليل .

وقررت أخيرا قبول القضية .

وقلت له :

ـ طيب .. اتفقنا .. قص على قصتك الآن .

* * *

. ذهبت فى اليوم التالى إلى المطعم المتواضع الذى أكد لى موكلى أن القاتل يزوره فى الدقيقة الخامسة عشر من بعد الظهر تماما .ذهبت قبل الموعد بأكثر من نصف ساعة ، حيث تناولت طعامى فى ركن من أركان المطعم ، أراقب الباب ، وأحدد النظر فى الداخلين والخارجين . فى الوقت المعين أقبل صاحبنا . وبعد أن طلب من الخادم أن يجهز له طعامه ، تناول الصحيفة وراح يقرأها وظل على حاله هذه وهو يتناول طعامه ، لا يكاد يرفع عينيه عن الصحيفة . ولقد فكرت كثيرا أن أتحدث إليه بحجة ما ، ولكنى كنت دائما أعود عن رأيى هذا فى الساعة الأخيرة . ثقة منى أن رجلا مثله لابد أن يكون حذرا . وأن من الحكمة أن أرتقب الفرصة المناسبة للوصول إلى غرضى . لما غادر المطعم تبعته . ولما ركب (التروللى) أخذت مكانى خلفه . ولما لحظت أنه يجدد النظر حوله ، وينظر إلى الركاب الذين ينتظرون عند كل محطة من المحطات ، قررت أن أغادر (التروللى) قبل نزوله ، حتى لا أثير شكوكه ، ثم

رحت ألحق الترولل على قدمى بأقصى ما يكون من السرعة ، حتى لحقت به وهو يغادره فى شارع (ميشاجين) . وبعد دقائق شاهدته يدخل مخزنا لبيع الأسطوانات القديمة . وكنت من العالمين العارفين بهذه الناحية ، فقلت فى نفسى " لقد أتت الفرصة المناسبة بعد طول انتظار " ودخلت إلى المخزن بعد دخوله بدقائق . وأخذت أجيل نظرى فى الأسطوانات المعروضة هنا وهناك ، حتى عثرت على واحدة أعجبتنى . أمسكت بالأسطوانة بيدى وتقدمت نحوه أقول :

ـ عذرا . هل أستطيع معرفة ثمن هذه ؟

فقال : لقد أخطأت . فلست صاحب المخزن وإنما أنا أحد الزبائن .

فضحكت وقلت :

ـ عذرا جميلا .

واستدرت أحاول العودة من حيث أتيت ثم تحولت إليه أقول :

ـ انظر إلى هذه الأسطوانة . إنها من أسطوانات أوركسترا

(هويتمان) . أتظن أن (بيكس) بينهم ؟

وكان (بيكس) هذا من مشاهير العازفين . وليس يعرف اسمه إلا من كان عازفا مولعا بالاستماع إلى الغناء والأناشيد .

فقال باهتمام :

ـ لست أدرى . ولا أكتمك أنى كنت أفكر فى هذا الأمر أيضا .

قلت : لقد عثرت على أكثر من أسطوانة لبيكس فى المدة الأخيرة ، كما وجدت مجموعة من أمثالها وفى مثل خطرها فى مخزن بشارع ستات . كما عثرت على أسطوانة لفلتشر هندرسون فى مكان آخر .

أجابنى باهتمام :

ـ هل أنت من المازحين ؟

وأحسست أنى قد أثرت اهتمامه . فقد فتح فمه من الدهشة . واستولت عليه رغبة ملحة فى معرفة المزيد من لقطاتى هذه .

وكانت الأسطوانات التى ذكرتها من الأسطوانات القديمة النادرة ، ثم قال وهو يضرب كفا بكف :

ـ لابد أنك من المحظوظين ؛ لأنى فى الواقع لا أقع إلا على

السخيف الرقيع من الأسطوانات القديمة .

قلت : لقد كنت محظوظا كما أخبرتك . ومن المؤسف أنى مغادر المدينة فى آخر هذا الشهر ، وسأقضى وقتا طويلا فى الانتقال من مكان إلى آخر . ولا أدرى ما سوف أفعله بمجموعتى هذه . أتظن أن محلا كهذا يستطيع شراء ما عندى بسعر حسن ؟ .

ولمعت عيناه .

وقال باهتمام :

- إنهم لن يعطوك إلا الأقل من ثمنها . إلا إذا وقعت على أحد الهواة .

قلت :

- ومن لى بمثله ؟

وظهرت الابتسامة على وجهه .

وأدركت أنى قد تمكنت منه .

وبعد دقائق كنا نشرب البيرا فى مكان قريب من المخزن ، ونتفق على الاجتماع فى فندق بايشور فى الساعة الثامنة والنصف من هذا المساء .

* * *

لما وصلت إلى مكتبى تحدثت بالتليفون لفندق (بيشوب) الذى ينزل فيه (دين) وحدثته بنجاحى . ولكنه قاطعنى . وطلب منى أن أزوره فى الفندق حالا .

وكدت أرفض طلبه .

لولا أنى تذكرت أنه موكلى . وأنه يدفع لى مصاريفى .

وجدته بالبيجاما فى غرفته رقم (٣٠٥) فى الفندق المذكور ..

وأمامه زجاجة من البوربون .

هتف لما شاهدنى :

- إذا فقد تم كل شىء على ما يرام . وسيكون هنا مساء ؟

قلت : إنه سيزور الفندق ، وسيصعد إلى هذه الغرفة لمشاهدة بعض الأسطوانات ، فهو من هواة الفنون الجميلة والأصوات الجميلة كما يبدو .

وقصصت عليه كل ما دار بينى وبين الرجل المطلوب .

ولاذ بالصمت مستمعا إلى حديثى . وهو ينظر إلى الزجاج

مفكرا .

وقال أخيرا :

ـ لقد قضيت سنوات قبل أن أصل إليه .

ـ كما صرفت كمية كبيرة من المال فى سبيل ذلك أيضا . فهذا البحث الطويل عنه قد كلفك غاليا .

قال :

ـ هو ما تقول .. لقد صرفت آلاف الدولارات فى سبيل ذلك .

وتحركت من مكانى متوجها نحو الباب وأنا أقول :

ـ هل تريد شيئا آخرا ؟

قال طبعا .

قلت : ماذا ؟

وضع قدحه على المائدة ومضى نحو الحقيبة الجلدية الموضوعة فوق السرير ففتحها بمفتاح فى يده ثم أخرج شيئا منها ما إن شاهدته حتى عرفت أنه مسدس من طراز ٣٢ الأتوماتيكى .

قلت : لقد أحسنت فى اتخاذ الاحتياطات اللازمة فليس من

يدرى ما قد يقع بينك وبينه . وأنت بحاجة لأن تحمى نفسك من اعتدائه .

قال : بل هو لك .

ـ ماذا تقول ؟

قال :

ـ خذه . فإنى لا أفهم شيئا عن المسدسات كما أنها تخيفنى .

قلت : ما الذى تريد أن أفعل به ؟

فنظر إلى الأرض مليا ثم قال :

ـ أريد أن تقتله بدلا منى .. لقد فكرت بأنى قد أستطيع القيام بالأمر بنفسى ، ثم رأيت أنه ليس باستطاعتى ذلك .

ومد المسدس منتظرا منى أن أتناوله منه . ولكننى لم أفعل .

وقلت له :

ـ اسمع يا مستر دين . الأفضل أن تترك البوليس يتولى أمر صاحبنا (أوتو) هذا .

هذا هو الاسم الذى يدعو به نفسه الآن ، هذا إذا استطعت أن

تبرهن على أن هذا الرجل هو الذى قتل زوجتك .

قال بصوت شديد :

ـ لا تحاول القيام معى مقام الواعظ . لقد استأجرتك لمساعدتى . وأنا مستعد للتعويض عليك ، فقد قتل هذا الرجل أعز إنسان على في الوجود ، وأنا مستعد لإعطائك ثلاثة آلاف دولار للانتقام لى .

وجمدت فى مكانى .

وقلت له :

ـ ثلاثة آلاف دولار .

قال : نعم ولن يكون هناك خطر عليك أو علىّ ، وسنؤكد للبوليس أننا فعلنا ذلك دفاعا عن النفس ثم إني قد استأجرتك لحمايتى وعندما يحاول هذا الرجل أن يهددنى أو يحاول الاعتداء على فلابد أن تتحرك لمساعدتى .

ـ أنت على حق . ولكنى لا أستطيع قبول عرضك هذا .

وصاح غاضبا :

ـ أنت وشأنك . إذا كان هذا ما تريده .

قلت : ويحسن بك أن تفكر مرتين قبل أن تقدم على قتله . فالقانون صريح فى هذا الشأن مهما كانت الدوافع إلى ذلك .

أخرج محفظة من جيب سترته وبعد أن عد مبلغا من المال قدمه إلى وهو يقول :

هذا هو أجرك يا مستر (تيرى) وشكرا على كل حال .

سألني وأنا أتوجه نحو الباب

- هل أنت مصمم على موقفك ؟

- بالتأكيد .

وأغلقت الباب خلفى .

* * *

عدت إلى مكتبى مباشرة وكانت الساعة الخامسة والنصف .

وكتبت تقريرا بالحادثة ووضعته فى ملفها الخاص بها .

وأما ما سوف يحدث فى الغرفة رقم ٣٠٥ فى فندق (بايشور) ما لم يكن من شأنى .

ثم جلست على الكرسى مسترخيا مفكرا . لم تكن أحوال

المكتب المالية على ما يرام . وكان العمل قليلا والأجر خفيفا .

وفكرت في دين وصاحبه سوف يجتمع موكلي - أو من كان موكلي لساعة خلت - إلى الرجل الذى كان يبحث عنه منذ سنوات .

وقدرت أن صاحبنا (أوتو) سوف يدهش حين يقرع باب الغرفة في الفندق ويشاهد (دين) أمامه بدلا منى .

وأحسست في هذه اللحظة بشيء من العطف نحو (أوتو) الذى كان يتهمه دين بالقتل ، وأدركت أن الطريقة التى استعملتها لإرساله إلى حتفه إلى الفندق لم تكن شريفة ولا كريمة حتى لحسبت نفسى بعد قليل من التفكير مسئولا عن مصيره فيما لو وقع له المحذور ونفذ دين وعيده .

غادرت مكتبى في الساعة السابعة إلى البار القريب حيث تناولت قدحا من القهوة أخذت أرشفه متمهلا مفكرا . ثم ذهبت أتمشى في الشارع دون ما هدف معين .

وبعد قليل وجدت نفسى أمام فندق بايشور . أخذت أروذ الشارع منتظرا قدوم أوتو فى الموعد وأنا أدعو الله ألا يفعل .

ولكنه وصل في الوقت المعين . وتوجه رأسا نحو باب الفندق .

أخذت أدخن سيجارتي مفكرا . ثم ألقيتها أرضا ودهستها بقدمي وتوجهت نحو الفندق بدوري .

ركبت المصعد إلى الطابق الرابع .

ثم مضيت في الرواق إلى الغرفة ٢٠٥ فلما وصلت إلى الباب وقفت أصغي . لم أسمع صوتا ولا حركة في أول الأمر ثم دوى صوت الرصاص .

اقتحمت الباب كالقنبلة .

فوجدت (أوتو) ممددا على الأرض و (دين) ملتصقا بالحائط وهو يرتجف فزعا وخوفا ، ومسدسه في يده .

تقدمت نحو (أوتو) فإذا به لم يصب بأذى يذكر ، وكان في حالة هياج ظاهر ، يدور حول نفسه في الأرض ويشتم ويلعن ويمد يده إلى سترته الخلفية .

وقدرت أنه في سبيله للبحث عن مسدسه .

وكان (دين) قد تمالك أعصابه لما شاهدني وحدد مسدسه نحو خصمه يريد إطلاق النار عليه ثانية فصحت به ألا يفعل .

ولكنه لم يسمع أمرى أو لم يلق بالا لإنذارى فقفزت إليه ودفعت المسدس من يده ، فاستسلم لمصيره ملتصقا بالحائط باكيا بعد أن وضع يده فوق وجهه .

وعندئذ استدرت نحو (أوتو) الذى كان ممددا على الأرض كما قدمت مخافة أن يستعمل سلاحه ويقضى على دين .

ولكن هذا استبد به الغضب إلى درجة مريعة فصاح بى :

ـ ابتعد عن طريقى . لأقتل هذا الكلب القذر .

ورفع يده ملوحا بمسدسه .

صحت به :

ـ حذار أن تطلق النار .

وصوب مسدس (دين) إلى رأسه .

ولكنه لم يأبه لإنذارى . لقد كان المسدس بيده .

ودين خلفى يصيح ويبكى . فقلت لأوتو :

ـ إنك لم تجرح جرحا بليغا أيها الصديق ، فلا تجعل الأمور أسوأ مما هى عليه الآن .

صاح بى :

ـ ابتعد عن طريقى .

لقد كان الحذر يدعونى إلى إطلاق النار على يده مخافة أن ينفذ وعيده .

ولكنى كنت مترددا .

وفى هذه اللحظة قفز دين إلى خلفى وجعل منى مخبئا يتقى به رصاص عدوه . طالبا منى أن أحميه وأدافع عنه .

وأطلق (أوتو) النار فأصابت رصاصته الجدار .

وعندئذ مد (دين) يده إلى المسدس وطلب منى أن أطلق النار .

دعوته أن يهدأ ويسكت .

ولكنه لم يفعل . لقد ملك الخوف عليه كل مشاعره ، فلم يعد يرى مخرجا من الخطر غير إطلاق النار على خصمه .

وفيما كان يحاول انتزاع المسدس منى خرج من خلفى فأطلق عليه (أوتو) الرصاص وأصابه .

وعندئذ لم يبق أمامى إلا إسكات (أوتو) ومسدسه .

أطلقت النار على يده فأصبته وسقط المسدس من يده .

ثم سقط على أرض الغرفة وهو يئن من الألم .

* * *

نظرت إلى دين فإذا الرصاصة قد أصابته فى قلبه . فأدركت أنه لا أمل منه

عدت إلى (أوتو) وكانت لاتزال فيه بقية وسألته :

- هل تستطيع الكلام ؟

فأجاب برأسه بالإيجاب .

سألته :

- هل تعرف هذا الرجل ؟

وأشرت إلى (دين) .

فقال : طبعا . راهواى ١٩٤٨ .

سألته : هل أنت الذى قتلت زوجته ؟

نظر إلى حذرا ، ثم قال :

- من تكون أنت ؟

- رجل لا شأن له . جئت للمساعدة فقط .

وأخذ (أوتو) يضحك رغم أن الدم كان ينزف منه .

سألته : ما الذى يضحكك ؟

فأشار إلى دين وقال :

- إنه من الأشخاص الذين يطلبون من الناس أن يقوموا بأعمالهم القذرة .

قلت : ما معنى هذا الكلام ؟

قال : لقد استأجرنى لأقتل زوجته . ثم مضى يستأجر جماعة من البوليس السرى للبحث عنى والقضاء على ، حتى لا ينكشف سره ولا أتحدث عن مشاركته فى الجريمة .

مايكل سميث

الشعر المستعار

الشعر المستعار

كان اسمها جينى روز وقد ولدت وليس على رأسها شعرة واحدة .

وأكثر من ذلك فإن أية شعرة لم تنبت على رأسها بعد ذلك ، ولكن من حسن حظها أن أباها هو الثرى كينجمان روز الذى يملك ستديو سينمائيا أنشىء على بستان برتقال من قبل أن تولد هى .

ومنذ أن بلغت الثانية من عمرها تقريبا أقنع الأخصائيون أمها أن ابنتها الصغيرة لن تكون ذات شعر أبدا فصارت تضع جمة من الشعر الحقيقى مصنوعة باليد ومسرحة بطريقة " الميزانبلى " وكانت هذه الجمة توضع ليلا بجانبها على الطاولة وأحيانا كان يحدث لجينى أن تستفيق فى قلب الليل مروعة باكية فيزداد ارتياعها عندما تقع عيناها على هذا الرأس ـ رأسها ـ على الطاولة ولكن مربيتها الآنسة هيينبوتام البريطانية الدقيقة التى تعتقد أن جميع أطفال أمريكا مدللين جدا ، هذه المربية كانت

ترفض نقل الجمة من مكانها ، وقليلا قليلا تعودت جينى كيف تكبح جماح دموعها فتكتفى بشهقات قصيرة وأخيرا تنتهى بجهشات صامتة .

وكانت الجمات الأولى التى استعملتها شقراء وقد اختارت لها أمها هذا اللون لأنها هى أيضا " شقراء خجولة " ولما كان زوجها قد غدا رمادى الشعر مبكرا فقد أراد المحافظة على هذا الانسجام فى اللون بين الأشقر والرمادى ، وعندما بلغت جينى الثالثة عشرة فيما بعد أوصت لها أمها على جمة ذات لون أغمق ، وقد وجدت ذلك أقرب إلى الأمر الطبيعى لأن معظم الأطفال الذين يكونون شقرا فى صغرهم تصبح شعورهم كستنائية عندما يكبرون .

وكانت جينى ما تزال تضفر شعرها عندما وقعت فى حب كارى جرانت . فقد كان يصور فيلما فى ستديو والدها وجاء يوما يتعشى عندهم .

وكان شعره أسود بديعا مع بعض الخصلات الرمادية ، وتنور ثغره ابتسامة مشرقة . وأسمعها " جينى يا حلوتى " فوقفت تصغى إليه فاغرة فاها وقد غدت فريسة لمشاعر لم تحس أبدا بمثلها حيال أمها أو أبيها ، ولا حيال أى مخلوق آخر ، فهو فى نظرها ملاك

هبط من السماء بهذا الشعر الفاحم الكثيف .

وفي هذه الفترة صارت تطلب إلى السائق بعد عودتها من المدرسة أن يذهب بها إلى الأستديو حيث كانت تقيم وهي تنظر إلى فاتنها وهو يعمل والابتسامة لا تغادر ثغرها ، ولكن سرعان ما انتهى الفيلم وتزوج كارى مرة أخرى فحطم بذلك قلب ابنة الثالثة عشرة .

وفي المرة الثانية وقعت في الحب دون أن ترى محبوبها أبدا من قبل .

فقد حدث أن شهدت فيلما جديدا ، فرأته على الشاشة ، وكان اسمه كورت دانكستر وكان أشقر ذا شعر كثيف متماوج أما وجهه فصارم ، وأحيانا غير وسيم ، ولكنه أحيانا يبدل وكأنه يذوب تحت نظراتها ورأته بديعا وراحت تغرس في ذهن أبيها فكرة تصوير فيلم مع كورت .

ورد كينجمان روز غاضبا :

- ولكنه شكل شركة خاصة به .

وتحرك عدد من النجوم وفكروا بالفوائد التي يمكنهم اجتناؤها

ولكنه هو لم ير أبدا لون هذه الفوائد ، وتساءل كينجمان على مسمع من زوجته :

ـ ولماذا لا أستطيع أنا تحقيق أى كسب ؟ فأنا الذى عرض ماله للخطر فلماذا لا أستطيع جنى أى ربح ؟

ولكن جينى لم تعر كل هذا أى انتباه فقد توصلت إلى اكتشاف المكان الذى يمثل فيه كورت فأسرعت مستعينة باسم أبيها لتدخل إلى الأستديو .

وتساءل كورت بدهشة عندما قيل له إن ابنة كينجمان روز تأتى وتدخل إلى البلاتو :

ـ وماذا تريد هذه الفتاة ؟

وما كانت تريده هو أن تراه وهو يمثل مشاهد الحب مع البطلة ، وأن ترى هذه البطلة تخلل شعره بأناملها .

وعندما ذهبوا لالتقاط المناظر الخارجية ، بدت لها الحياة قاتمة ، ولكن ذلك لم يدم طويلا فسرعان ما دخل جيتر فيلرز فى حياتها . وكان قد وصل من إنجلترا لتصوير فيلم فأقام له أبوها وأمها استقبالا حافلا .

لم يكن على مثل وسامة كارى ولا على مثل رجولة كورت ، ولكنه كان ذا موهبة فكهة نادرة .

وفى هذه الفترة بالذات تقريبا فكر كينجمان روز بإلحاق بينير بدور هام ، وبعد ذلك شعرت جينى بارتياح عندما أدركت أن العرض الذى رفضته بعدم اهتمام قد أثر فى والدها . كانت فعلا آخذة بالنمو .

ولجينى الآن عدة " بيروكات " كلها شقراء فضية من اللون الذى قررت أنه يناسبها وكل واحدة مصففة بشكل مختلف ، وكانت إحداها طويلة جدا حتى إنها تنسدل على ظهرها . وكانت تحب هذه " البيروكة " وتضعها عندما يجب وعندما لا يجب ، كما كانت لا تحملها إلى الحلاق كما تفعل برفيقاتها عادة .

وفى هذه الفترة خيل إليها أن بيرت موريس من برودواى تيار هو المعشوق المثالى ، فهو أحدث سنا من الآخرين صغير ولكنه بالنسبة إليها غير ذلك ، وهو غزير الشعر حتى ليصل شعره إلى جبينه .

والآن وقد بلغت الثامنة عشرة تشعر أن غرامياتها البعيدة فيها نظر إلى حد ما ، وكانت تتضرع إلى أبيها كى يطلب من بيرت

الخروج معها .

ويقول أبوها :

ـ ماذا ؟ عن أى شيء تتحدثين ؟ إنه كبير السن بالنسبة لك . إنه أكبر مما يبدو وأنت ما تزالين طفلة . لماذا لا تخرجين مع فتيان فى مثل سنك ، مع بعض أولاد مدرستك ؟

لم تملك جينى غير إغماض عينيها . فهى لم يسبق لها أن تطلعت مرتين إلى أى واحد من هؤلاء الفتيان الأغرار الذين يقصون شعورهم قصا قصيرا جدا ، كما أنهم هم أيضا لم يبدوا أى اهتمام بها وكانت واثقة أنهم جميعا فى المدرسة يعرفون أنها تضع " بيروكة " مع أنها لم يسبق لها أبدا بالطبع أن حدثت بذلك .

ـ حسنا إذا كنت لا تنوى أن تطلب منه الخروج معى فادعه على الأقل إلى الغداء ، فأنا أراه لطيفا .

لم يجب أبوها بنعم و بلا ، ورأت جينى أنه لابد لها من عودة إلى الموضوع ، ولكن فى أثناء استعدادها لذلك طرأ أمران غيرا حياتها تغييرا .

فقد بدأ أبوها يعد أفلاما للتليفريون ، كما وصل آل أفيد إلى

أمريكا .

وعندما نزل هؤلاء فى نيويورك لم يكن أحد فى الولايات المتحدة قد سمع بهم . وكلما كانت جينى تقول : (لا يوجد غير الخنافس) ولكن ما إن ظهروا على الشبكة الوطنية حتى اعتبروا أروع حدث فنى منذ (لفين كربلى) .

وكانت جينى تميل إليه فى بعض الأوقات ولكنه كان منطويا على نفسه ، ولذا فلم يسفر كل ذلك عن أى شىء .

وتحت تأثير جينى استقل كينجمان روز الطائرة إلى نيويورك حيث قابل مدير أعمال آل أفيد وعاد منتصرا ، فقد وقع معهم عقدا لثلاثة برامج تليفزيونية وجاءوا إلى هوليوود لتنفيذ العقد .

وفى الحال أدركت جينى أن ذلك هو القضاء والقدر . كانت قد شاهدت آل أفيد على الشاشة الصغيرة وسرعان ما اجتذبها الفتيان الأربعة : تونى ، آل ، إيان ، وجينجو . وبخاصة أن شعورهم كانت أطول من شعور جميع منافسيهم . وعندما علمت بوصولهم اشترت جميع الصحف الجديدة وقرأت كل ما كتب عنهم .

كان تونى متزوجا وآل له خطيبة وبعد إمعان التفكير وقع

اختيار جينى على جينجو مون . فمن بين هؤلاء الأربعة المشعثين كان جينجو صاحب أطول شعر فيهم .

لم يذهب كينجمان روز ولا غيره من أفراد العائلة إلى المطار لاستقبال آل أفيد ولتمكينهم من اجتياز جماهير المعجبات الهاتفات .

كان هناك رجال الشرطة يركبون الدراجات البخارية ، وغيرهم يلبسون مدنى ، وكان هناك دانا فيلرنج اليد اليمنى لكينجمان . وتقرر إقامة حاجز من رجال الشرطة وحملهم فى سيارة سوداء مسدلة الستائر يرافقهم راكبو الدراجات ذات الصافرات لتفسح لها المجال حتى تغيب عن الأنظار . وبعد ذلك يتوقفون لينقلوهم إلى سيارة دانا الخاصة ، بينما يتابع رجال البوليس مرافقة السيارة السوداء على زعيق صفاراتهم حتى المدينة .

وفى هذه الأثناء تكون دانا قد صحب الفتيان الأربعة إلى بيت روز .

كل شىء سار على ما يرام لولا حادث واحد مزعج . كان معهم فتاة وكانت تدعى بيرت تانى وكانت خطيبة جينجو .

وقال والد جينى :

ـ أقدم لكم زوجتى . وهذه هى ابنتى جينى .

وجينى التى كانت تضع شعرها ، شعرها الطويل قابلت النظرات من عينى جينجو الخضراوين ولكن أذنيها كانتا مصغيتين لتسمعا : خطيبة جينجو استطاعت أن ترى وتفهم . وما رأته كان يعنى بوضوح الخطر .

كانت بيرت فتاة قصيرة القامة ناعمة ، شعرها بلون القمح لامع صلب متساقط على كتفيها . عيناها كانتا زرقاوين بلون الفيروز وقوامها مثير . ولمست جينى أن أباها نفسه ، وهو المعتاد على مختلف ألوان الجمال ، قد بدا متأثرا بها .

وخوفا من أن يضايق المعجبون الفتيان الأربعة فى فندقهم ، فقد تقرر أن يحلوا ضيوفا على آل روز . وهيئت غرفة لبيرت ، ثم انسحب الخمسة ليغتسلوا بعد رحلتهم .

وطلب دانا الأشعث كأسا من الشراب ليستعيد جأشه وهو يقول :

ـ لم أر قط شيئا كهذا . حتى مع وجود كل هؤلاء الشرطيين حولنا فقد تعرضنا للتمزيق . حتى أنا نفسى .

ونظر بحزن إلى معطفه الممزق وقال :

ـ فعلا كان الموقف قاسيا .

وقالت جينى بلا مبالاة :

ـ لم أكن أعرف أن لجينجو خطيبة . أين التقاها ؟

ـ كانت تعمل سكرتيرة لرجل يشتغل بالدعاية فى نيويورك ويقول :

تونى إن جينجو المندفع ، القليل الحظ قد أصيب بضربة الصاعقة .

ـ هل يفكران بالزواج قريبا ؟

ـ أعتقد . وهى تنوى السفر معهم إلى إنجلترا فور فراغهم من برامجهم التليفزيونية .

حملت جينى الأمر محملا متلطفا . لم يكن أمامها سوى ثلاثة أسابيع . ثلاثة أسابيع لإزالة بيرت من الطريق والاحتفاظ بجينجو لنفسها .

وحاولت أول الأمر مع أبيها :

تحبن الفتيان الذين يستطعن سحقهم بالأقدام .

وأحبت طريقته فى العزف على القيثارة وغناءه ، كانت طريقته أن يخفض رأسه ويترك شعره الأشقر يتدلى على جبينه . وهذه الحركة منه كانت تثيرها ، ويخلق فيها شعورا غريبا . وعندما حمل أبوها نسخة من الفيلم أخذته وأمضت ليلتها وهى تنظر إليه فى جناحها الخاص ، كانت فى حالة من النشوة العميقة .

ومر أسبوع من أصل الأسابيع الثلاثة ، لقد حان الوقت للدخول فى المرحلة العملية ، كان جينجو قد تنبه إليها ، وهذا كل شىء ١٤ يوما يجب أن تكون كافية . ولكن لو أن بيرت تختفى فقط عن المسرح الآن ؟ .

الحادث وقع فى وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم بالذات . كان الأخوان أفيد فى الأستديو مع كينجمان لتسجيل البرنامج الأول ، وكانت السيدة روز قد خرجت ، شأنها كل يوم جمعة لتلعب البريدج وتتعشى فى ناديها ، ودينى البستانى منهمك فى تقليم النباتات بعيدا عن حوض السباحة ، وروى فيما بعد أن السيد روز هو الذى أمر بذلك وقال :

ـ كانت الفوضى شديدة فى هذه الناحية من الحديقة ، وقد

أبدت جينى والسيدة روز هذه الملاحظة ساعة الإفطار .

وما قاله دينى كان أهم شهادة فى التحقيق :

ـ هذه الآنسة تاتى كانت ضيفة فى المنزل ، وكانت تقضى معظم أوقاتها بالقرب من حوض السباحة وتارة فى الماء وتارة تحت الشمس وقد طلت جسمها بالزيت ، لا أعتقد أنها كانت سابحة ماهرة فما رأيتها فى الماء إلا وهى فى الحوض الصغير متشبثة بالحاجز .

وتابع دينى :

ـ تغديت عند الظهر . ثم عدت لأقلم الأزهار ، الآنسة جيف كانت منزعجة الصحة وقد رأيتها فى غرفتها طوال قبل الظهر وبعد الظهر رأيتها مستلقية فى سريرها نائمة ، وعندما عدت من ملعب التنس رأيتها وقد عادت إلى الجلوس ، كانت تقرأ فى كتاب كلا هى لم ترنى كان ظهرها إلى باستمرار ، ماذا تقصدين ؟ تسألوننى هذا كما لو كنت لم أرها فعلا ؟ كنت هناك طوال بعد الظهر كما قلت لكم ، لن تزجونى فىهذه الحكاية كما أعتقد هكذا جرت الأمور .

وبعد كلمات متلطفة سأل المحقق دينى أن يصف له كيف عثر

على الجثة .

- كانت الساعة تناهز الرابعة وكانت الطاهية فى قيلولتها ومن عادتها أن تقضى ساعتين نائمة ، وهكذا لم أر أحدا عندما أخذت آلة قص النباتات لأضعها فى مستودع الأدوات . وضعتها فى الداخل ثم توجهت نحو حوض السباحة قاصدا غرفتى القائمة فوق الجراج عندئذ عثرت عليها كانت طافية ووجهها فى الماء جثة هامدة بشعرها الأشقر كسنابل القمح ، شيء مريع وحق شرفك مريع .

وعلت همهمة عطف بين المحققين وأعطوا قرارهم : قضاء وقدر ، ودنت جينى من جينجو وداعبت ذراعه بلطف وقالت :

- أنا شديدة الأسف يا جينجو لو كنت فى ذلك اليوم أحسن صحة فقط لما وقع ما وقع . . .

- ليس لدى ما ألومك عليه أيتها البطلة

وأتبع قوله هذا بنظرة حالمة كان شعرها الطويل متهدلا على جبينها أكثر من المعتاد وتنهدت جينى .

ومع أن الزواج تقرر سريعا فقد كان شغلا شاغلا . لم يتسع

الوقت لإعداد فستان الزواج لجينى ، ولكن الفستان الذى مثلت فيه دنيس جاى فيلمها ، كان رائعا بعد إجراء بعض التعديلات عليه .

وكان تونى الأشبين بينما راح آل وإيان يستقبلان المدعوين وكان المكان محاطا بسياج من الشرطة خوفا من هجوم المعجبين وقد نصبت خيمة كبرى فى الجهة الشمالية من الحديقة بالقرب من ملعب التنس .

وقامت طائرة هليكوبتر بنقل العروسين إلى حيث يقضيان شهر العسل وهو استراحة صغيرة لكينجمان روز فى الوادى . وبينما كانت مراوح الطائرة تدور فى السماء الصافية الزرقاء كانت جينى تحلق بين الملائكة ولا تعير اهتماما للأسئلة التى يطرحها عريسها على ملامح الطائرة .

كل شيء سار على أحسن ما يرام ، من قال إن أدق الخطط المرسومة تنقلب على واضعها ؟ هذا ليس شأن جينى روز ، بل جينى مون بل السيدة جينجو مون .

وفكرت : الإنسان ليس الذى يخاف أقل شيء أو يحزن لأقل شيء خذ قضية شعرها مثلا . فلو لم تكن تضع شعرا مستعارا لما كان لديها رأس خشبى تضع " البيروكات " عليه ، ولو لم يكن

لديها مثل هذا الرأس وبيروكة لما استطاعت أبدا جعل دبتى يتصور أنها كانت نائمة فى غرفتها بينما كانت فى الحقيقة فى حوض السباحة تشد بيرت إلى الأعماق بشعرها الطويل .

فقد وضعت البيروكة على الرأس الخشبى ووضعته أمام النافذة ورفعت الغطاء حتى عنقه وقامت وسادتان مقام الجسم . عرفت أن جينى هذه يمكن أن ترى بوضوح من الحديقة . تعرف ذلك لأنها أجرت التجربة قبل أن تحمل أباها على إرسال البستانى لتقليم المزروعات .

وليس من يستطيع القول إن رأسها لم يكن بين كتفيها . ابتسمت ابتسامة عريضة بينما كانت الطائرة تهبط إلى الأرض .

وقال جينجو وهو يدخل المنزل :

ـ رائع بديع . بديع . أليس كذلك يا حبيبتى ؟

ـ آوه . عظيم . سنحتل غرفتين يا حبيبى أتريد ؟ لا أريد القول من أجل أن ننام فيهما .

وخفضت عينيها وتابعت :

ـ قصدت من أجل أمتعتنا . لنغير فيهما ثيابا .

وتضرج وجهها . وشعرت بالاعتزاز لنجاحها .

وتطلع إليها جينجو قلقا ثم استنار وجهه .

ـ فكرة جيدة . فإذا ما خجلت ـ أو خجل أحدنا ـ هذا ما تقصدين ؟

ـ أين غرفتى أيتها الأميرة ؟

وحمل حقيبتين وتبعها فى المشى .

وقالت قبل أن تدخل إلى غرفتها الخاصة :

ـ هناك حمام بين الغرفتين .

ـ سأقرع الباب عندما أصبح جاهزا .

وابتسم ابتسامة عريضة ولكنه لم يلبث أن عاد فتجهم وسألها :

ـ هل أنت واثقة من أنك تحبيننى يا جينى ؟ هل تعلمين أنى أكاد لا أصدق .

ـ آوه لو تعرف إلى أى حد أحبك .

ـ حسنا . لن أتأخر .

واختفى وراء الباب .

واستمرت تتحدث إليه بينما ترتدى قميص نومها :

ـ هذا المكان مجهز بكل ما ينبغى .

ـ أجل .

ووضعت قبعة صغيرة مزدانة بأزهار الدانتيلا . وفكرت : رائع

وتناولت فتاحة الرسائل . فقد دس لها أبوها مغلفا ساعة السفر وهي واثقة أن فيه مالا . وعندئذ تذكرت أنه يجب عليها أن تضع شعرها المستعار . وتساءلت ما إذا كان ينبغى لها أن تتحدث بذلك إلى جينجو ولكنها استبعدت الفكرة بسرعة إذا كانت بارعة جدا (ومن يشك بذلك) فلن تدعه يحتاج إلى معرفة الأمر .

كانت تهم بفتح المغلف عندما سمعت جينجو :

ـ انتهى يا حبيبتى ، ها أنا ذا .

ـ أنا جاهزة يا حبيبى .

وفتح المغلف أجل فيه شيك . يا للأب العزيز .

ـ جينى . هناك أمر يجب أن أصارحك به أعرف أنه لن يؤثر عليك .

ورفعت عينها لتذكر مخاطبها . كان الشعر الجميل قد ذهب وظهر تحته رأس نصف أصلع عليه شعر قليل متفرق قاس مسرح إلى الخلف ، رأسه كالبيضة ، جلده أبيض ولامع .

وأطبقت قبضتها اليمنى على فتاحة الرسائل ومشت إليه .

وقال جينجو :

ـ كان لابد لنا من فعل ذلك . إنهم الخنافس الذين بدأوا بذلك وبعدهم أدركنا أننا لن نحقق أى هدف إذا لم تكن لنا شعور طويلة الآخرون تركوا شعورهم أما أنا ...

وهز كتفيه وابتسم ابتسامة شاحبة وتابع :

ـ وعندئذ استحضرت هذا .

وأشار إلى الشعر المستعار الرائع الذى كان يهتز اهتزازا خفيفا كأنه شعر حى .

دى فوربس

المصيدة

المصيدة

كانت الفتاة الجميلة تعبث بالفراء الكبير الملقى على ركبتيها أما الفتى " لاندفار " خطيبها فكان ينظر إليها فى هيام وإعجاب وما لبث أن غمغم قائلا :

ـ هذا موقف مثير للأعصاب حقا . كثيرا ما تكون الكأس على قيد قيراط من الشفة فيحدث ما يبعدها فى آخر لحظة وهى حوادث كثيرة الوقوع . وعلى هذا فلو أن " ويلاند " دفع هذا الباب ودخل إلى هنا فجأة لكانت لنا صدمة مؤلمة وخيبة مرة المذاق . ولا يلبث أن يذهب هذا الصرح العتيق الفخم مع الفدادين الثمانية التى تحيط به وغيرها من الممتلكات الأخرى كما يكتسح العاصف سحب الدخان ، أجل ، بينما تكون يداى قابضة على كل هذه الثروة كما تقبض الآن على هذا الرف إذا بالباب يفتح و ... وإذا بى لا أقبض إلا على الهواء .

فصاحت الفتاة متألمة :

ـ كفى بالله ! .. إنك تثير أعصابى بهذا القول !

وأخذت تنظر إلى الباب المغلق وفى نظراتها ما يدل على شدة القلق والخوف حتى إن " لاندفار " دفع رأسه إلى الوراء ولزم الصمت إشفاقا على الفتاة ، ولكنها ما لبثت أن استردت جأشها وقالت :

ـ إن فى الأمر ما يشبه تجربة إلهية . أحسب أن " ويلاند " لا يزال لديه من الوقت أقل من ثلاثة أرباع ساعة . وفى إمكانه أن يعلن حضوره خلال هذه الفترة القصيرة من عمر الزمن . وإذا به يهدم كل صروح آمالنا ويذهب بسعادتنا .

فصاح لاندفار : هونى عليك أيتها العزيزة . هل تركت كلماتى كل هذا التأثير ؟ إننى أمزح ، وأعتقد أن " ويلاند " قد مات . وإن كان لا يزال حيا فهو لا يأتى إلى هنا أبدا لأنه لا يجسر .

فحولت الفتاة رأسها نحو المحامى وسألت : هل تعتقد يا مستر ماركسون أنه قد مات ؟

وكان المحامى عندئذ قد أزاح جانب الستار وأخذ يطل خلال زجاج النافذة على فضاء مترامى الأطراف تكسوه خضرة يانعة وقد قامت فوق هذا البساط الأخضر ثلاث دوحات من شجر الشربين وبوابة مقبية بالحجر لبستان واسع الأرجاء غنى بأشجاره

ذات الثمار . وكان المنظر ظاهر المعالم تحت أشعة البدر ولو أنه كان محاطا بهالة قاتمة . وكان النسيم يداعب الأغصان فيسمع لها حفيف كهمس الآدميين ، فلما سمع سؤال الفتاة انثنى نحوها وقال :

ـ أحسب أن من الخير أن نستقل سيارة خطيبك لنعود فور اللحظة إلى المدينة .

ـ إن الليل يوشك أن ينتصف .

فهز لاندفار رأسه وقال :

ـ هل يسوؤك لو جلسنا هنا حتى منتصف الليل ؟ لي رغبة شديدة في البقاء حتى تدق الساعة منتصف الليل . أريد أن استنشق الهواء مطمئنا قانعا وأنا أقول : " أنا السيد المطاع هنا . إن هذا الإقليم لي . وهذا الصرح ملك يميني . وسيرحب رسميا بأجمل عروس " اجلس يا ماركسون وخذ هذه السيجارة .

فابتسم المحامي ماركسون وقبل السيجارة شاكرا وقال : موافق . موافق ..

وعاد لاندفار يقول في حماس :

ـ لقد دل حضورك معنا الليلة على صداقة وكرم ، ولما كان

الصرح فى حاجة إلى الإصلاح والتغيير فعلى أن أرجوك للإدلاء بملاحظاتك إن لك آراء قيمة فى المعمار رغم مركزك القانونى .

فابتسم ماركسون قائلا :

- أتحسب أن ستكون لمشورتى قيمة ؟ لست فنانا .

قال : إن أفكار الهواة ذوى الذوق السليم تكون فى الغالب ...

ولم يتم قوله لأن الفتاة الجالسة بجواره همست فجأة : اسمعا .

فانثنى كل من الرجلين نحوها بسرعة وعلامات الدهشة تغمر وجه ' لاندفار ' وابتسامة رقيقة ترقص على شفتى ' ماركسون '

ثم ساد القاعة صمت رهيب وأخذ كل واحد ينظر إلى وجه الآخر وقد حبسوا أنفاسهم وظلوا فى هذا الوضع أكثر من دقيقة وإذا بلاندفار يقطع حبل هذا الصمت قائلا :

- ماذا حدث يا عزيزتى ألسا ؟

فأجابت فى صوت خفيض يكاد يكون همسا : أظن أن هناك شخصا ما وراء الباب .

وكان ' ماركسون ' أقرب الرجلين إلى الباب فنهض فى خفة وتقدم نحوه فى خطوات غير مسموعة وفتحه بحركة مباغتة فكان

كل ما رآه هو الممشى الممتد أمام الباب ذات اليمين وذات اليسار والذى يسوده ظلام دامس ، وأغلق الباب وعاد إلى مجلسه مبتسما وما لبث أن قال :

ـ أيتها العزيزة إن الوهم المتسلط على أعصابك قد أثر على أعصابك . وأنا على يقين من أن الخطأ فى تركك العنان لهذا الوهم . أو بالأصح بالفكرة التى تسيطر على نفسك . اطمئنى واعلمى أن ويلاند الوارث الأول . لا يأتى إلى هنا الليلة لو كان لا يزال حيا أو حتى لو كان حيا .

فصاحت فى لهفة : تقول وإن كان لا يزال حيا ؟ إنك لم تجب للآن على سؤالى يا مستر ماركسون . هل لديك فكرة خاصة لا تود أن تظهرها لنا عن وجود ويلاند على قيد الحياة ؟

وصاح لاندفار بدوره قائلا : هذا ما أطلب الإجابة عليه يا ماركسون .

فأشعل المحامى سيجارة ولبث برهة ينفث الدخان فى هدوء ثم قال :

ـ ليس مركزنا الآن بالمركز العادى . ولم يسبق أن سمحت لى تجاربى كقانونى مسجل أن كنت فى مثل هذا المركز مطلقا .

موضوعنا الليلة من الطرافة والدقة ، بل الخطورة بحيث يضعنا نحن الثلاثة فى أحرج مركز من اللهفة والشك والقلق . لاندفار كوارث آخر للميت وأنت يا سيدتى كعروسه المنتظرة . وأنا كمنفذ للوصية لقد طوى الميت وصيته على الانتقام من وارثه الذى نغص عليه حياته ، وحب الانتقام ولذته هى التى خلقت هذا الموقف ، وإن مقت إيراستوس ويلاند لقريبه الحى الوحيد أقصد وريثه الأول قبلك بلاندفار كان معروفا للجميع ، وقد عرف عميلى القديم فى براعة أن يظهر هذا الكره ، فلما مات ترك وصية جاء فيها :

" جميع ثروتى تكون ملكا لقريبى ابن عمى موريسون ويلاند الذى لو كان - خلافا للاعتقاد العام - حيا ، على شرط أن يثبت شخصيته لمنفذ الوصية جيمس ماركسون قبل انصرام اليوم الخامس من الشهر الثانى عشر بعد وفاتى " .

ومعنى هذا أن موريسون ويلاند يجب أن يقدم نفسه لى أنا منفذ الوصية بعد خمس وعشرين دقيقة ، فلو كان الوارث العتيد مازال حيا يرزق - وهذا مشكوك فيه - يجب ألا يتأخر أكثر ، أسرع موريسون لأن الدقائق ثمينة جدا ، إن إرثك البديع سيفلت من يدك إلى يد الوارث الثانى . أسرع . ولكن لا .. إنك لو أتيت لكان حبل

المشنقة فى انتظارك رغم ما ترث من أموال طائلة .

فصاحت الفتاة وهى تلهث قائلة :

ـ أرجوك كفى إن أعصابى لا تتحمل .

وقال لاندفار وهو يضحك :

ـ أحسنت يا ماركسون . تستحق نيشانا على هذا .

فتصاعد الإحمرار إلى وجه 'ماركسون ' لهذا المديح ثم وضع إحدى ساقيه فوق الأخرى واستأنف حديثه قائلا :

ـ مضت سنوات عديدة على الشقاق الذى دب بين إيراستوس ويلاند وقريبه موريسون وهو البقية الباقية من ذوى قرباه معك يا لاندفار .

وكان موريسون هذا رجلا كثير النصب والاحتيال يفاق وكان لا يرى وهو يرتكب مخازيه وموبقاته ، لم يحس يوما ما بالحضيض الذى رضى لنفسه أن يرتع فيه ، وتردى فى الهوة السحيقة بعد أن انزلق إلى الجريمة الكبرى ' القتل ' ، لقد تمرغ فى أسفل البؤر وأقذرها وانتهى به المطاف إلى قتل النفس وهو على رأس عصابة من قطاع الطرق ، أوقف هو ومساعدوه الخمسة قطارا بالطريقة

الحديثة بين محطتى " بافالو " و " كليفلاند " فنشبت بينهم وبين حراس القطار معركة وقد قتل هو أحد هؤلاء الحراس وقيل إنه سقط قتيلا بعدئذ فحمله رفاقه وفروا به وقد قتل راكبان غير الحارس والآن أنا أمام سؤالك وجها لوجه يا سيدتى العزيزة " هل أعتقد أن موريسون لا يزال حيا ؟ " يجب أن أسلم بهذا . والأساس الذى ترتكز عليه فكرتى أو اعتقادى هو ترك الميت أمواله له بالكيفية التى ذكرت فى الوصية ، وأنا أعرف أن إيراستوس ويلاند قد قام ببحث واستعلام دقيق عن حقيقة مصرع قريبه ولم يقبض يده عن البذل فى هذا السبيل . ولقد جاءت وصيته هائلة ، مصيدة ذهبية عبارة عن تدبير محكم من الانتقام المروع ، بعدما عرف أنه طريد القانون ، عليه أن يظهر نفسه مطالبا بالإرث قبل انقضاء المدة المحددة التى تمر سريعا ولكنه لو أتى ، لو قال أنا موريسون ويلاند لكان كمن يقذف بنفسه إلى هوة بعيدة القرار كمن يضع حبل المشنقة حول عنقه ، والآن بعدما سلمنا بأنه لا يزال حيا ، إذن فلديه منذ مات إيراستوس سنة كاملة يستطيع خلالها أن يعرف هذا النبأ ويدرس شروط الوصية التى نشرت عنها إعلانات كثيرة ، يدرسها وهو ملتحف بالظلام وفى مقدوره وهو فى هذا الموقف أن يرى سند الثروة المتألق وهى ثروة تكفى لإشباع

جشعه وإرواء ظمأه .

ولكنه رغم ذلك يبتسم فى أول الأمر ويمر الوقت سريعا . يا لهول الخسارة ، ولا يلبث وهو نهب للأفكار المتضاربة أن يجذب يده إلى الوراء ، وهى اليد التى حاول بها أن يقبض على هذه الثروة الضخمة وينكص على عقبيه هاربا لأن المشنقة تبدو أمامه مريعة مخيفة بجوار أكداس الأموال التى تبدو ضئيلة هزيلة .

أما الميت فلو كانت العواطف التى حملتها قلوب الأحياء تكون كذلك مع الأرواح بعد الممات لكانت روحه تتشفى لهذا الانتقام .

فارتعدت الفتاة وسألت فى صوت خفيض :

- هل سبق لك أن رأيت موريسون ؟

أجاب : كلا لم تقع عليه عيناى مطلقا . فعليه أن يقدم نفسه إلينا أولا ومن ثم يثبت شخصيته .

فقال لاندفار : أرأيتما إننا بدأنا نسلم بأن الرجل لا يزال على قيد الحياة . أيتها العزيزة لا ريب إنك لو أطلقت العنان لكل هذه الأفكار لظللت فريسة لتلك الأصوات الخيالية المعلقة .

وفى هذه اللحظة صدرت دقات ثلاثة أرباع ساعة من الساعة المعلقة على جدار القاعة . وكان الصوت عميقا مرتجفا ، ولم يكد يزال صداه حتى عاد خفقان فؤاد الساعة إلى الدق المنتظم . فغمغمت الفتاة تقول :

ـ خمس عشرة دقيقة باقية وأنت تقول يا مستر ماركسون إنه يجب عليه أن يقدم نفسه إليك فى الوقت المحدد لو كان على قيد الحياة ؟

قال : هذا ما جاء فى الوصية ، نصف الليل تماما وإن لم يظهر انتقلت الثروة إلى خطيبك العزيز لاندفار .

فقالت الفتاة وهى تحدق فى عقربى الساعة :

ـ إن هذا يدعو إلى التهيج ، بل إلى الدهشة والافتنان .

فقال لاندفار بلهجة قاسية :

ـ لا هذا ولا ذاك لأنه بينما نحن نمضى الوقت فى إلقاء مثل هذه الأسئلة يرقد موريسون ويلاند فى فراشه المرتفع عن الأرض ستة أقدام فى بلاد غريبة . وهذا لم أشك فيه مطلقا . ولو ...

هنا صدر فجأة صوت تحطم زجاج ، وصدرت صرخة عالية

من الأراضى الخصبة فتوقف عن السير ، وعاد يناجى نفسه مفتر الثغر قائلا :

- كل هذه ملكى الخاص .. إنها لى كلها

ثم رأى فى مرعى خصيب على مقربة من حدود الغابة قطعان الأغنام التى لا يمكن حصرها ، وحول بصره من ناحية يعرف أن فيها نهيرا نمير الماء فخيل إليه أنه يرى لمعان مائه وهو ينساب كأنه الفضة المذابة يا الله ما أبدع وما أفخم ، وهو يعرف قبل الآن ما قيمة هذه الأراضى ذات التربة الغنية وهذه المراعى الخصبة ، وهذه الغابة الكثيفة ذات الدوحات الباسقة ، وما هو الدخل الذى تنتجه هذه الأفدنة الممتدة إلى فراسخ عدة ، إن رأسه ليدور ، ما أفخم هذا الفراش من الرفاهية والعز الذى سيرقد فوقه ، بل يتمرغ بين وسائده الوثيرة اللينة .

آوه . إن هذه الأفكار التى تصدم رأسه لتصيبه بالخبل ، وفى الوقت نفسه تكشف أمام عينيه مركزه عاريا . فأخذ يقبض راحتيه قبضا عنيفا بحركة عصبية وتوترت شرايينه وأخذ هيكله يهتز لمجرد هذه التخيلات المثيرة ، لأنه شب يعرف أن هذه الثروة الضخمة ستكون له يوما ما بعد موت قريبه " إيراستوس " وها هو ذا الوقت

قد آن لظهوره مطالبا بها .. وما عليه إلا أن يقف أمام منفذ الوصية قائلا : " هأنذا أعطني ثروتي " ولكن هل يجسر ؟ إن الوقت يمر سريعا . ولم يبق سوى دقائق معدودة ليحزم أمره . أجل إنه لا يستطيع طويلا أن يقف حيث هو الآن مشرفا على هذه المناظر الفخمة وهو يسقط فؤاده ويعصر ذهنه ليخرج برأى حاسم ولكن هل يجرؤ . ليس هناك أقل ريب في أن قريبه الميت قد حبك خيوط انتقامه . إنه ترك له ثروته وهو عدوه الأول كفخ منصوب ومصيدة رهيبة من الذهب . ولكن رغم اعتقاده هذا فقد اندفع متقدما نحو الصرح ينتظر فيه منفذ الوصية عند انتصاف الليل .

ولكن سرعة اندفاعه أخذت تقل شيئا فشيئا أثناء تقدمه وأحس كما لو كان هناك من يصب ماء مثلجا فى قلبه .

إنه سيقف أمام القضاء ليحاكم على جريمة قتل ، وهذه لا يمكن لأكبر ثروة فى العالم أن تنقذه منها ، ولما كان من المؤكد القبض عليه بعد بضع ساعات من ظهوره وإثبات شخصيته فهل يستطيع الظهور فوق سطح الماء ؟ كلا . وهل يستطيع أن يجازف ويعتمد على الصدفة ؟ كلا أيضا . إذا فكم هو مغفل غبى مضاعف الغباوة ليأتى إلى هذه البقاع لتعذيب فؤاده وليقدم رأسه للجلاد وفى

استطاعته أن يعود إلى وكره فى برارى أمريكا حيث عاش حرا طليقا يجوب البحار السبعة بعيدا عن قبضة القانون أليس فى عمله هذا ما يوافق رغبة قريبيه الميت الذى كان معتقدا أن عدوه سوف يمنى نفسه عبثا بهذه الجائزة الذهبية العظيمة . مصيدة الذهب .

أجل إنه يفهم هذا ولكن التجربة . الإغراء كان أكثر من أن يمر به دون أن يأبه له .

ولكنه صاح قائلا : . . . .

ـ بحق الله أن أظل هكذا إلى الأبد ، لا يجب أن أبقى طريدا هائما على وجهى .

واندفع مخترقا المرج ثم اجتاز حديقة الصرح ووصل إلى أول ظله الذى يعكسه ضوء للقمر على أحواض الأزهار . وبينما كان متقدما نحو الباب الزجاجى سمع دقات الساعة تدق ثلاثة أرباع الساعة . لم يبق على حرمانه من الإرث سوى دقائق معدودة ، عليه الآن أن يقرر مصيره .

وإنه ليخطو آخر خطوة تفصله عن باب صرحه العتيد إذ سمع صوتا يقول : من هناك ؟ فضغط على نواجذه ليمنع لعنة كادت تصدر من حلقه والتصق بالجدار منكمشا . وكان صادرا عن يمينه

فالتفت نحو مصدره فرأى رجلا يتقدم نحوه وفى يده هراوة غليظة . فزمجر كما لو كان وحشا . أحد أتباعه دون شك . من سيتقاضى أجره منه وهو المالك لهذا الصرح وما يترامى حوله من مئات الفراسخ ذات الأرض الطيبة ، عليه إذا أن يقتحم الباب الزجاجى . ولكنه كان مغلقا بالرتاج من الداخل فأخذ يعالج فتحته فى سرعة .

وصاح الرجل وركض نحوه فما كان من الوارث العجيب إلا أن صدم الزجاج بكتفه فحطمه ونفد إلى الداخل بين شظايا الزجاج وأخذ يتلمس طريقه فى الظلام فى سرعة والرجل يتبعه صائحا ولما وصل إلى درج سلم رأى رجلا قويا يقف عند رأسه وبجواره آخر وفتاة لم ير فى حياته وجها أشد بياضا من وجهها . ولكنه صيد ، وسمع من يتبعه يقول :

ـ اقبض عليه يا سيدى ، إنه هنا لارتكاب جريمة دون شك .

فقال الرجل وكان هو المحامى ماركسون :

ـ هل الرجل لص ؟

فهدر الغريب قائلا :

ولم يتم جملته قال المحامى فى هدوء .

ـ إذا من أنت ؟

فهدر الغريب قائلا : كيف أكون لصا ؟

عاد يسأل : من تكون إذا ؟

فعاد الرجل يطلق اللعنات ويزمجر قائلا :

ـ لا يهم . بالله لو وضع أحدكم إصبعا علىّ .. إذن ...

ولم يتم قوله ، فقال المحامى فى لهجة مؤدبة وهو يشير بيده إلى الباب الواقف أمامه مع لاندفار وخطيبته . والذى قد وصل الطارق الليلى إليه قائلا :

ـ ادخل .. تعال إلى الداخل .

فصاح الخادم : هل أستدعى البوليس يا سيدى ؟

فألقي ماركسون نظره على ساعته وقال : نعم .. يمكنك .

فقال لاندفار : وهل هذا ضرورى ؟

فلم يجبه وأغلق الباب وراءه وانثنى نحو الزائر الليلى الغريب وقال فى هدوء :

هل لديك ما تفسر به هذا التصرف ؟

فأخذ الرجل يجذب ياقة قميصه كما لو كانت تخنقه وهدر قائلا :

ــ آوه . لدى القليل من القول أريد أن أقوله . بل ربما الكثير .

هل ظننتنى لصا مجرما ؟

فرد المحامى فى هدوء قائلا :

ـ ما الذى تريد أن تقوله ؟ هيا وأوجز . إننا فى انتظار ما تقول .

فهدر قائلا : هل تأمرنى . هل لى أن أعرف من أنت .

قال : إنى أدعى جيمس ماركسون . مسجل عقود .

فصاح الرجل : إذن .. إذن .. أوه أنت الرجل ؟ أوه .

ثم أخذ يزمجر معالجا ياقة قميصه وهو يقبض يديه ويبسطها فى عنف كما لو كان تحت تأثير هياج عصبى ثم قال :

ـ ومن هذا ؟

أجاب المحامى :

ـ إنه مستر لاندفار .

فصاح الرجل هادرا :

ـ ماذا ؟ إذن بحق جميع شياطين جهنم ...

ولم يستطع أن يقول أكثر لأن الكلمات وقفت فى حلقه فلم يقو على النطق ، وأخذ جسمه يرتجف فى عنف ، وهنا ساد صمت قاتل لف القاعة . لم يكن يعكر سكونه سوى دقات الساعة التى كانت الفتاة تنظر إلى عقربيها بوجه شاحب وأنفاس مقطوعة .

وكان الرجال الثلاثة واقفين على شكل مثلث . أحدهم لاندفار تجاه النافذة ولذا استطاع أن يلاحظ وجه الطارق الليلى ويراقب حركاته بكل دقائقها .. ارتعاش الشفتين .. تحرك الحدقتين .. وصادف أن تحول نظره نحو المحامى ماركسون فرآه يقطب حاجبيه ثم يحرك رأسه قليلا .. وكانت هذه إشارة أدرك لاندفار معناها تماما .. وسمع ماركسون يعود ليقول :

ـ مرة أخرى .. إننا فى انتظار ما تقول .

فأخذ الرجل ينشب أظافره فى وجهه مرتعش الشفتين مهتز

الهيكل وخرجت من فمه ثلاث كلمات كأنها القنابل :

ـ أنا .. موريسون .. ويلاند ..

وهذه الكلمات لو صدرت فى موقف آخر من فم رجل نظيف لا ينتظره حبل المشنقة لكان لها شأن آخر . ولكن هل لابد له من الارتداد ؟ كلا إن فى ارتداده مضيعة له وضياع لثروته . إرثه الشرعى ، ولكن أيضا ما هى النتيجة ؟ ما هو مستقبل رجل كان نهبا لعجلة الإجرام تطحنه طحنا ؟ كيف يمكنه أن يدفع حبل آلة الإعدام الرهيبة الباطشة . أو يرد القانون الذى يلاحقه ؟

ولم يكد المحامى ماركسون مع ذلك يسمع دوى هذه القنابل الثلاث حتى قال فى هدوء :

ـ يجب على أن أذكرك بأن الخادم ذهب لاستدعاء رجال الشرطة وما لم .. أوه أظن أننى أسمع صوت أقدام ، إنها أقدامهم دون ريب .

وبينما كان يتكلم سمع صوتا آخر ، حركة داخل ساعة الحائط . وأخذت الساعة تدق مؤذنة بحلول منتصف الليل ، واحد . اثنان . ثلاثة . وصاح ماركسون قائلا فى رزانة :

ـ لقد ابتدأ اليوم السادس عشر من شهر يونيه .

فخطف موريسون كرسيا ولوح به فى الهواء فوق رأسه وهو يزمجر قائلا :

- إن هذه الساعة الملعونة مقدمة خمس دقائق .

فقال المحامى :

- بل هى مضبوطة على بج بن يا صديقى . ومع ذلك فلماذا نهتم بهذا الأمر ؟ أوه .. ها هو الشرطى فى طريقه إلى هنا .

فصرخ موريسون . وألقى بالكرسى جانبا . ثم اندفع نحو النافذة ووثب منها هاربا لا ينوى على شىء . ذهب كما يذهب اللص العادى أو لص الحدائق ، أو كمتشرد ليبحث عن مأوى يقضى فيه بقية الليل .. أما الفتاة فقد أغمى عليها ، وأما لاندفار فقد صار فى مثل ومضة البرق الوارث الوحيد للثروة الضخمة التى تركها إيراستوس ويلاند كمصيدة هائلة من الذهب .

والتى أفلت منها عدوه ووارثه الأول فى آخر لحظة صعلوكا .. شريدا .. معدما ..

س . و . ساندرز

الشبح

الشبح

لم يتحدث جريفس إلا بعد أن أضاء أنوار الغرفة حتى لقد سبحت فى الأنوار الباهرة . وكانت الغرفة باردة ، تنبعث منها رائحة عطرة تطيب لها النفس . وفى الخارج ـ من خلف زجاج النافذة ـ كانت كرات الثلج متناثرة على قارعة الطريق تكسو الأرض بغلالة ناصعة البياض تتلألأ الأنوار المنبعثة من مصابيح الطريق .

وتأمل الرجل هذا المنظر وهم بأن يتكلم بيد أنه تردد وتوقف . تمهل لحظة يفكر فيما يقول وأخيرا همس :

ـ كان " الشىء " هنا .

وأشار إلى الفراش ثم أردف :

ـ ولقد دخل من هذا الباب ولعل الأمر يبدو لك الآن أكثر وضوحا .

وأومأت المرأة برأسها إيجابا ولكن دون أن تتحدث .

وأردف الرجل يقول : إنني لا أحاول أن أغير خيالاتك وأوهامك ، وإنما الواقع هو أنني أحاول أن أعيدك إلى الواقع .

ثم أردف :

- والآن هل لنا أن نعود إلى حجرة المكتب .

وهبطا معا إلى الطابق الأرضى .

كان المنزل كبيرا واسع الأرجاء ولكن الدرجات كانت قديمة غير متماسكة تنبعث منها قرقعة مزعجة والأقدام تخطو فوقها ، وذلك بالرغم من السجاد السميك الذى يكسو الدرجات .

وفى أقصى الردهة عند منعطف السلم غرفة صغيرة اتخذت مكتبا . وكانت فى المكتب مدفأة وكان صوت النار يسمع وشعلاتها الضاربة إلى الزرقة تعلو وتخبو وتتراقص ومع ذلك يبدد الدفء برودة الغرفة .

وأشار جريفس إلى مقعد أمام المدفأة ودعا المرأة إلى الجلوس . وأردف الحديث بصوت هادئ :

- إنى لا أريد أن أجعل من نفسى راوية يركن إلى حديثه فإياك أن يخطر ببالك أننى مصدر فذ للمعلومات فأنت نفسك تعلمين ما

أعلم ولقد تورطت فى الموضوع وما من شىء أقصه عليك إلا كنت على علم به . ولكنى أريد منك أن تدركى حقيقة الموقف وأن تتبنى المشكلة التى كان عليه أن يواجهها .

كان جريفس وهو يردد هذه الكلمات يتطلع إليها بنظرة فاحصة من تحت حاجبيه الكثين . وكان لا يزال مرتديا معطفه وقفاز فى يديه وفى معالم وجهه سمات تنبىء بالجدية والرصانة .

وراح يقول فى كلمات وئيدة متمهلة :

ـ ولنبدأ أولا بتونى مارفيل . إنه شاب لطيف محب ما يتعرف إليه إنسان إلا أحبه ومال إليه ربما لم يكن رجل أعمال ناجحا موفقا فهو أطيب قلبا من أن يكون من رجال الأعمال ولكنه بكل تأكيد رجل حى الضمير ، وله مخ رياضى استطاع عن طريقه أن يتغلب على المشاكل التى واجهته .

وكان تونى قد عقد العزم على أن يواصل دراسة الرياضيات حتى يحصل على أرقى الدرجات ، لولا أنه فوجىء بوفاة عمه فكان لابد أن يتولى أعماله وأنت تعرفين تلك الأعمال . ثلاثة فنادق فاخرة يديرها العم جيم بنجاح تام ، وكان يمكن بوفاته أن

تتدهور حالتها وتؤول إلى الإفلاس .

وأجمع الناس على أن من الحماقة أن يقحم تونى نفسه فى دنيا الأعمال ، فهو من طراز فاشل لا يصلح لهذا العمل ، وقال أخوه ستيفن الذى يعد جراحا مرموقا إن أخاه تونى لن يفلح فى إدارة الفنادق الثلاثة وأنه سيغرقها فى الديون والإفلاس وأنه لن تمضى شهور حتى توصد أبوابها .

ولكنك تعرفين ما حدث . لقد انتقلت إدارة الفنادق إلى تونى وهو لا يزال فى الخامسة والعشرين ، وما أن مضى عامان حتى استقرت الفنادق على أساس متين وأصبحت تجنى ربحا مجزيا ولم تتدهور حالتها ، وإنما على العكس تقدمت فى طريق النجاح بخطوات ملحوظة .

وعندما بلغ تونى الثلاثين عاما كانت فنادقه أشهر الفنادق فى البلاد وكان الناس يقبلون عليها لما اشتهرت به من نظافة ونظام ، وأخذت الأرباح تنهال على الفنادق وتتكدس على خزانتها .

ويتبادر إلى الذهن هذا السؤال : كيف نجح تونى فى إدارة الفنادق وقد كان الجميع يتوقعون له الفشل والإخفاق ، كان مرجع توفيقه إلى إقباله على العمل وانهماكه فى مهام الإدارة ، إذ لم يكن

يعرف للراحة طعما ، وكان لا يكاد يكف عن العمل إلا ريثما يقضى ساعات قليلة فى النوم ، فوقته كله يكاد يكون مكرسا للعمل .

وكانوا يقولون له إنه يرهق نفسه ويكدح أكثر مما ينبغى وأن عليه أن يصيبه شيء من الراحة . ولكنه كان يسخر من هذه الأقوال ويرد على ناصحيه بأنه كالجواد ، وأن العمل يطيب له وأنه لا يحس شيئا من التعب .

ولكن ساء تقديره ، فما أن مرت خمس سنوات على توليه مهمة إدارة الفنادق - أى فى الثلاثين من عمره - حتى أصيب بانهيار عصبى ، وسقط مغمى عليه وهو فى عمله .

وصارحه أخوه الجراح ستفين بما ينبغى أن يفعل .

قال له ستفين :

- إنك بالانكباب على العمل على هذه الصورة المرهقة إنما تقتل نفسك . يجب أن تتخلى عن العمل فورا وأن ترتاح ، سافر فى الحال . يجب أن تسافر حول العالم . نعم يجب أن تقضى سبعة شهور أو ثمانية فى زيارة شتى البلاد ، وخلال هذه الشهور انسَ العمل ، اطرح عن نفسك أى نوع من المسئوليات . نعم يجب أن ترتاح راحة

كاملة . أهذا واضح ؟

وكان الأمر واضحا ، ولكن تونى لم يكن مقتنعا .

وعاد ستفين يلح على أخيه تونى بأن يأخذ بنصائحه وأن يستمع إلى نصحه إلى أن رضخ أخيرا وقرر أن يعتزل العمل ثمانية شهور كاملة ، ولقد كان تونى هو الذى روى لى هذه القصة بالأمس ولقد قال لى إن ما حدث ما كان ليحدث لولا أن أخاه أمره بأن لا يتصل بأحد خلال رحلته وألا يكتب خطابا لأى مخلوق .

وقال ستيفن يحذر شقيقه :

- نعم . إياك أن تبعث أى خطاب ، حتى لو كانت مجرد بطاقة بريد .. نعم .. يجب ألا تشغل نفسك بمسئوليات العمل وإلا قضيت على نفسك .

وقال له تونى معترضا :

- ولكن جوديت . إنك تعلم أنها سكرتيرتى وخطيبتى فى الوقت ذاته .

فقال له ستيفن وهو يهز إصبعه فى وجه أخيه محذرا :

ـ إننى أمنعك من أن تكتب إلى جوديت بالأخص . إذا كنت مصرا على أن تتزوج سكرتيرتك فهذا شأنك ولكن لا تفسد رحلة الاستجمام بتبادل الخطابات وما يجرى فيها .

واستطرد جرفيس يروى القصة لضيفته :

ـ وإنك لتستطيعين طبعا أن تتخيلى ستفين وهو يخاطب أخاه فى لهجة عنيفة غاضبة وأنه يضفى على تحذيراته خطورة تثير الرعب فى قلب مريضه .

ولهذا استمع تونى إلى كلمات أخيه صامتا مستسلما ولم يحاول أن يعترض أو يناقش ولعل السبب فى هذا أنه كان مرهقا متعبا . وأنه كان يشعر أنه فى أشد الحاجة إلى راحة كاملة ، ولهذا أذعن إلى نصح أخيه ووعده أن لا يكتب إلى جوديت حتى ولا خطابا واحدا وحسبه أن يفكر فيها فلا داعى لأن يبادلها الرسائل .

وهكذا سافر تونى وغادر البلاد فى منتصف شهر سبتمبر منذ ثمانية شهور ، مستقلا الباخرة كوين آن من ميناء سارنها مبتون .

وفى تلك الليلة بدأت المتاعب .

وأمسك جريفس برهة عن الاستطراد فى حديثه . وكان فحيح

نيران المدفأة لا يزال يسرى فى أرجاء الغرفة فيضفى على المكان جوا من الرهبة .

وعاد جريفس يتم حديثه قائلا :

ـ عند منتصف الليل أبحرت الباخرة كوين آن من ميناء سارنها مبتون ومضى تونى وهو واقف على رصيف الميناء يتأمل الباخرة العملاقة بمداخنها المرتفعة التى تطاول السماء علوا ورأى البحارة والمسافرين يخطرون على سطحها وبدوا فى عينيه كأنهم نقط سوداء تتحرك أو أشباح تروح وتغدو . وسمع سلاسل المرسى وهى تصلصل فى هذا السكون الليلى الرهيب .

وأحس تونى من هذا كله بفرحة تفيض بصدره كأنه تلميذ صغير مسافر لأول مرة .

وقد رافقه إلى الميناء أخوه ستيفن مارفيل وجوديت جيتس خطيبة تونى .

وبعد أن استوى تونى على ظهر المركب ذكر ما كان منه وهو يودع خطيبته . لقد تأبط ذراعها وأمسك بيدها وهو يطوف بها فى ممرات الباخرة المكسوة بالمطاط وكيف ذهب بها إلى مقصورته . وكيف رأت جوديت وهى ترى حقائبه مكومة بعضها فوق بعض

دون ترتيب أو نظام ، وكيف ضحكت وقالت إنها لو رافقته فى رحلته لجعلت منه رجلا منظما لا يعرف الفوضى . وأطروا جميعا مقصورته وجمال أثاثها .

وأخيرا دق الجرس المدوى يدعو المودعين للنزول إلى الشاطئ لأن الباخرة وشيكة بأن تتحرك .

وما أن سمع تونى رنين الجرس حتى داخله شعور بالوحشة .

وكانت جوديث وستيفن قد رجعا إلى الشاطئ فقد كان كلاهما يمقتان لحظات الوداع الأليمة كانا واقفين على الشاطئ يتأملان الباخرة وكانت جوديت مشرقة بابتسامة لطيفة ، وكانت تلوح بيدها تودع خطيبها وكان الناس جميعا يلوحون فمن يلوح بمنديله أو بيده .

وأخيرا سمع تونى الجرس يدق للمرة الثانية وكانت دقاته بطيئة يرتجف رنينها ويتباعد خافتا حتى يغيب فى جوف الليل . واشتدت به مشاعر الوحشة حتى لقد خطر له أن يسارع إلى مقصورته وأن يأمر بإنزال حقائبه وأن يهبط إلى الشاطئ ويلغى رحلته .

ومرت برهة وهو مستند إلى سياج الباخرة يفكر فى العدول

عن السفر فسلم الباخرة ما يزال مكانه لم يرفع بعد وفى الوقت متسع لو أنه بادر وأسرع .

وخشى تونى أن يستبد به شعور الحنين فلوح إلى جوديت وستيفن وانتقل مسرعا إلى مقصورته لكى يشغل نفسه بإخراج حاجياته من الحقائب ورصها فى الدواليب فهذا العمل كفيل بأن يصرف ذهنه عن التفكير فى العدول عن الرحلة .

ما أن دخل تونى إلى مقصورته حتى وجدها خالية من حقائبه ودار ببصره هنا وهناك فى أرجاء المقصورة وتبادر إلى ذهنه أن الخادم وضع الحقائب فى الدواليب ففتحها وتطلع فيها فوجدها خالية ليس فيها أثر للحقائب ، وأسرع تونى يرتقى الدرج إلى مكتب المشرف وابتدره بقوله :

ـ أين حقائبى . إننى لم أجدها فى المقصورة .

ـ طبعا يا مستر مارفيل . لقد نزلت إلى البر وعليك أنت أن تسرع بالنزول فإن السلم يوشك أن يرفع .

وتطلع تونى إلى المشرف بنظرة تنطوى على الغباء الشديد وقال :

ـ حقائبى أنزلت إلى البر ؟ ولكن لماذا ؟ من الذى أمر بإنزالها؟

ورفع المشرف رأسه عن الأوراق المكدسة أمامه وكانت فى نظرته دهشة بالغة بل ذهول شديد .

وردد كلمات متلعثمة :

ـ من الذى أمر بإنزالها ؟ أنت يا سيدى .. أنت بنفسك ..

ولبث تونى صامتا يتطلع إلى المشرف فى ارتباك .

واستطرد المشرف يقول وعيناه تتأملان تونى فى دهشة :

ـ إنك جئت هنا يا سيدى .. إلى مكتبى .. منذ عشر دقائق على الأكثر وقلت لى إنك عدلت عن السفر وطلبت منى أن آمر بإنزال حقائبك إلى الشاطئ وقد قلت لك إن إلغاء الرحلة قبيل قيام الباخرة بوقت قصير لا يعطيك الحق فى استرداد قيمة التذاكر وقد رددت على بأن لا أهمية لذلك وأن الذى ...

ولم ينتظر تونى بل صرخ فى المشرف قائلا :

ـ إذن أرجعها .. أرجوك .. أرجعها حالا .. مستحيل أن أكون قد طلبت منك إنزالها .

وهز المشرف رأسه وهو يقول :

ـ كما تشاء يا سيدى .. هذا إذا كانت فى الوقت فسحة لإرجاعها .

ففى تلك اللحظة كانت صفارة الباخرة تدوى عالية إيذانا بالرحيل .

وأردف جريفس يروى قصته :

ـ مضى تونى مرفيل متجها إلى مقصورته وهو يقدح ذهنه محاولا أن يتذكر متى قابل المشرف ومتى طلب إليه أن يعيد حقائبه إلى الشاطئ ولكن كان مستحيلا أن يتذكر شيئا من هذا القبيل . إنه لم يدخل مكتب المشرف إلا مرة واحدة وهى هذه المرة فكيف يزعم الرجل أن ...

وروعه الأمر وبعث الرعب فى قلبه .

عندما كانت تحل به إحدى أزمات الانهيار العصبى كان يفقد ذاكرته ساعة أو ساعتين . كان يحسب خلال الأزمة أن عقله انفصل عن جسده وأنه أصبح ذا شخصيتين . فهل يا ترى أصيب بأزمة نفسية بعد صعوده إلى الباخرة وفى خلال فترة الأزمة ذهب إلى المشرف وأمر بإعادة الحقائب إلى الشاطئ ؟

هذا التعليل محتمل جدا .

إذن فقد أصيب دون أن يشعر بأزمة حادة وبلغ من مدى انهيار أعصابه أنه فقد ذاكرته بضع دقائق وصدرت عنه تصرفات لم يعد يذكر منها شيئا .

وخشي تونى أن تعاوده أزمة الانهيار العصبى ورأى لكي يستعيد توازنه أن يتناسى هذا الحادث وأن يركز تفكيره على أشياء عادية ترده إلى الدنيا المألوفة التى يعيشها .

مضى يفكر فى جوديت مثلا . ذكر عينيها العسليتين ووجنتها المكتنزة الفاتنة وخاصة عندما تدير رأسها .. إنه مفتون بها .. بجمالها .. ومفتون بها لكفائتها فى العمل .. إنها خطيبته وقد اتفقا على الزواج بمجرد عودته من رحلته .. وخلال هذه الرحلة ستتولى جوديت بوصفها سكرتيرته إدارة العمل ، وهى قديرة على هذا .

ولكن لا .. ليس وقت جوديت الآن .. إذ لا ينبغى أن يعرض نفسه للانفعال .. فإن الانفعالات كفيلة بأن تؤدى به إلى الانهيار العصبى .

أبعد جوديت عن ذهنه وأخذ يتمثل أخاه ستيفن مارفيل وغيره من الأصدقاء الذين خطروا على ذهنه بل إنه فكر حتى فى عمه

جيم الذى مات منذ عشر سنوات وأورثه مع أخيه الفنادق الثلاثة .

جرى كل هذا فى الدقائق القليلة التى كانت صفارة الباخرة تدوى خلالها وهو متجه إلى مقصورته شارد الذهن .

فتح تونى مارفيل باب المقصورة وخطا داخلها ثم تسمر مكانه وقد اتسعت عيناه ذهولا .

كان بصره مستقرا على الفراش . على المسدس الملقى على فراشه .

وعند هذه النقطة من القصة توقف جريفس عن الحديث وتطلع إلى المدفأة متأملا لهيبها المتأجج غارقا فى الذكريات التى تحشو رأسه بحكم عمله كمساعد لمدير الأمن العام .

وبسط جريفس يديه إلى نيران المدفأة يصطلى الدفء وفركها برهة ثم تحول إلى جليسته قائلا :

ـ لحظة واحدة يا سيدتى .. إياك أن يخطر ببالك أن الرعب الذى اشتد بتونى عندما رأى مسدسا على فراشه ـ لا تظنى أن هذا الرعب لازمه طوال الرحلة فلو أن ذلك حدث لأصيب المسكين حتما بانهيار عصبى .

لقد أخبرني تونى نفسه أن نوبة الرعب لم تلازمه إلا فترة وجيزة . بضع دقائق لا تزيد على ربع ساعة .

ما معنى هذا ؟ ما الذى جاء بالمسدس إلى مقصورته ؟ ما الذى ألقى بالمسدس على فراشه ؟

لقد طغى عليه عندئذ شعور جارف من الخوف . هذا المسدس نذير بالشر . هناك شرور تكتنفه . هناك أخطار تحيق به .

وقف في مقصورته متسمرا والمسدس في يده وبلغ من اضطرابه وانهيار أعصابه أن خيل إليه أنه وشيك أن يجن .

اشتدت قبضته على المسدس وخطر له فى لحظة يأس أن يتخلص من انهيار الأعصاب بأن ينتحر . وهم فعلا أن يدس فوهة المسدس فى فمه ويطلق النار .

ولكن ما أن خرجت الباخرة إلى عرض البحر حتى نفض عن نفسه هذه الخواطر اليائسة شأن من يخرج من مكان معتم يغشاه الضباب إلى الشمس المشرقة .

ولقد حدثني تونى عن هذه اللحظة اليائسة فقال إن جبينه تصبب عرقا وانتابته رعشة شديدة وأخذت أنفاسه اللاهثة تتلاحق

ثم بدأ يحس بأنه أحسن حالا وأن عقله قد ارتد .

ومن جديد أخذ يسأل نفسه عما جاء بهذا المسدس إلى مقصورته ولكن لم يكن لديه جواب على هذا السؤال . وخطر له أنه هو الذى جاء به فى لحظة من لحظات فقدان الذاكرة ولكنه لم يستطع أن يتذكر متى حدث ذلك . وأخذ يحملق فى المسدس وقد داخله شعور جديد بجمال الحياة وخيل إليه عندئذ أنه كان محكوما عليه بالإعدام ثم صدر عنه عفو أنقذه من حبل المشنقة .

ولعلك ظننت أنه لفرط خوفه قذف المسدس إلى البحر من كوة المقصورة . ولكن لا .. إنه لم يفعل شيئا من هذا القبيل . هذا المسدس جزء من اللغز الذى حيره وأثار دهشته فلم لا يحتفظ به . فقد يحل وقت ينكشف فيه سر هذا اللغز ويرتفع عنه اللثام .

كان المسدس براوننج من عيار ٣٨ وصناعة بلجيكية وكانت خزانته محشوة بالرصاص .

وأودع المسدس فى حقيبة لا يقع عليه بصره خشية أن تعاوده الرغبة فى الانتحار كما انتوى أن يحمله معه فى عودته إلى الوطن ليقدمه دليلا ماديا يبرهن به على أنه يصاب من حين لآخر بفقدان الذاكرة .

وخلال رحلته الطويلة عبر الولايات المتحدة لم يثر المسدس دهشة رجال الجمارك فقد رأوه وهو ينزل فى نيويورك ثم رأوه فى كليفلاند وشيكاغو وسان فرانسيسكو . ثم عبر به البحر إلى هونولولو ومع ذلك لم يوجه إليه أحد سؤالا بشأن المسدس . وهكذا طاف المسدس الدنيا بأسرها فمر بالمحيط الهندى . ثم عبر قناة السويس وزار القاهرة ثم سافر إلى الإسكندرية . وانتقل إلى روما ثم مارسيليا . وأخيرا مر المسدس من جبل طارق راجعا إلى إنجلترا بعد غيبة ثمانية شهور .

واستطرد مساعد مدير الأمن يتم قصته :

لعلك تذكرين أن عودته كانت فى ليلة باردة تساقط فيها الثلج كثيفا . وكان القطار يشق طريقه فى صعوبة وسط الثلوج المتراكمة وكان القطار مزدحما وجهاز التدفئة مختلا لا يعمل .

وكان تونى يعلم أنه لن يجد أحدا فى انتظاره فى محطة ساونها مبتون لأنه لم يكتب لأحد عن موعد عودته . لقد أشار عليه أخوه ستيفن باعتباره طبيبه أن لا يكتب لأحد على الإطلاق أثناء رحلته وقد رأى تونى أن يلتزم بالتعليمات التزاما كاملا . وسوف يهبط عليهم على غير انتظار فتكون مفاجأة مذهلة وسوف يرى

جوديت مرة أخرى جوديت حبيبته وخطيبته .

وكان مرافقوه فى مقصورة القطار صامتين لا يكادون يتكلمون . وإن نطقوا فعبارات مبتورة مقتضبة يخلدون بعدها إلى الصمت .

وقال أحدهم :

- يا ليت هذه الثلوج تستمر حتى عيد الميلاد .

وغمغم مسافر آخر معقبا على هذه الملاحظة :

- سيكون عندئذ عيدا سعيدا .

وألصق جبينه بزجاج النافذة يحاول أن يتبين ما يجرى فى الخارج رغم الظلام السائد .

وقال شخص آخر مزمجرا متأففا :

- إنه حقا لبرد شديد لا يطاق .. ألا يستطيعون إصلاح جهاز التدفئة ؟ إنه لبرد قاتل .. لا بد أن أقدم شكوى عند وصولى إلى المحطة .

وبعد هذا الحديث القصير تناول كل منهم صحيفة وغرق فى قراءتها .. فقد غابوا جميعا عن الوطن وأصبحوا اليوم متلهفين إلى معرفة ما جرى خلال غيبتهم .

وتراخى تونى فى مقعده وأطبق عينيه وغرق فى خواطره .

ها هو ذا ـ بعد ثمانية شهور ـ قد عاد إلى وطنه .

ومضى ينصت إلى قوقعة العجلات وهى تجرى على القضبان وإلى صفير القطار وهو يشق الجو عاليا مدويا .

وكان يعرف تماما ما ينوى أن يفعل .

عندما يبلغ القطار محطة ووترلو ستكون الساعة قد أشرفت على العاشرة وعندئذ سيقفز إلى إحدى السيارات وينطلق بها مسرعا إلى داره فيأخذ حماما ينعشه ويزيل عنه غبار السفر .

وبعدها يسرع إلى مسكن جوديت .

كان مفروضا أن تسعده هذه الفكرة وأن تبعث البهجة فى قلبه ومع ذلك أحس ببرودة تسرى فى بدنه وتبعث الرجفة فى أوصاله .

ومضى يكافح هذه الرعدة التى اشتملت جسمه وأخذ يضحك من نفسه ساخرا . ما الذى يخيفه ؟ ما الذى يزعجه ؟ أتكون جوديت فى خلال الشهور الثمانية قد علقت بغيره ؟ أيكون قلبها خلال هذه الغيبة قد تحول إلى سواه ؟

وجاهد أن ينفض هذه الخواطر عن ذهنه وتناول صحيفة

ونشرها أمامه متنقلا من صفحة إلى صفحة محاولا أن يجد فى أنبائها ما يصرفه عن خواطره اليائسة .

وفجأة استقر بصره على كلمات قصيرة تجمدت عيناه عليها كان تحت بصره اسما مألوفا لديه .. مألوفا تماما ... وكان النبأ عجيبا يثير الدهشة .. بل يثير الذهول .

كان النبأ المنشور فى الصحيفة يتحدث عن وفاته . وكان هذا نصه .

فى الليلة الماضية مات مستر تونى دين مارفيل قتيلا برصاصة استقرت فى مخه . ومستر مارفيل هو صاحب فنادق مارفيل المعروفة وقد عثر على الجثة فى مخدعه فى بيته فى شارع سانت جون . ويبدو أن الحادث حادث انتحار لأن الرصاصة أطلقت داخل الفم فنفذت من سقفه واستقرت فى المخ وكانت مسز ريتش مديرة المنزل هى التى عثرت على الجثة . وذلك أن .... '

يا إلهى .. كيف يمكن أن يحدث هذا وهو جالس الآن فى القطار يطوى به الأرض ؟ كيف يكون ميتا ؟ كيف يكون جثة هامدة وهو الآن فى طريقه إلى بيته الذى يقولون إن جثته موجودة فيه ؟

وفجأة عرته صدمة عصبية أذهلته عن دنياه التى يعيش فيها .

خيل إليه أنه يعيش الساعة في دنيا خاصة به . خيل إليه أنه يعيش وحده وأن مقصورة القطار قد تلاشت وأن المسافرين معه قد اختفوا .

واستطرد مستر جريفس في روايته قائلا :

ـ ولقد وصف لى تونى هذه اللحظة بأنه فقد كل شعور بما حوله وقال لى إنه هب واقفا وفتح باب المقصورة ليخرج إلى الممشى . كان وجوده في المقصورة المنطبقة الجدران يسبب له شعورا بالاختناق .

وعاد يقرأ النبأ من جديد . لم يكن هناك شك فى الأمر .. نعم .

إنهم يتحدثون عنه . وعن وفاته . ويصفون كيف انتحر .

نعم .. إنهم يتكلمون عنه تحدثوا عن ماضيه وعن حاضره . تحدثوا عن فنادقه . وكيف أدارها بكفاءة حتى بلغ بها النجاح مستوى رفيعا .

واستطرد النبأ المنشور يقول :

" ... وحين عثرت مديرة البيت على جثة المنتحر . كان المسدس فى يده وقد بادرت تخطر أخاه الطبيب الجراح الشهير مستر ستيفن

مارفيل . كما استدعيت أيضا خطيبة المنتحر مس جوديت جيتس . وقد تبين أن مستر مارفيل كان يرهق نفسه بالعمل فى إدارة الفنادق وأنه أصيب من جراء ذلك بانهيار عصبى فنصح بالاستجمام وأن يقوم برحلة طويلة حول العالم ولكن يبدو أن انقطاعه عن العمل ثمانية شهور فى رحلة استجمام لم يؤد إلى شفائه . كما تبين أنه رجع من الخارج بغتة دون أن يخطر أحد بعودته . كما يبدو أنه ما كاد يستقر فى بيته حتى أطلق على نفسه الرصاص وانتحر ' .

وما فرغ تونى من قراءة هذا النبأ العجيب المثير حتى راح يقرأ تاريخ الصحيفة .

كانت الصحيفة مؤرخة بتاريخ اليوم أى بتاريخ ٢٣ ديسمبر . ولم يخامره شك فى ذلك فقد اشترى الصحيفة فى نفس اليوم .

وعرف تونى من فحوى النبأ أنه أطلق على نفسه الرصاص منتحرا منذ ثمان وأربعين ساعة .

ولقد ورد فى النبأ أن المنتحر كان ممسكا بالمسدس الذى انتحر به ومع ذلك فها هو ذا المسدس فى جيب بنطلونه .

وطوى تونى الصحيفة ودسها تحت إبطه .

كان القطار منطلقا بأقصى سرعته يطوى الأميال وراء الأميال وصفيره يعلو ويعلو وترردده الأصداء ، وذكره هذا بالصفير الذى أطلقته الباخرة كوين آن عند إبحارها منذ ثمانية شهور من ميناء ساونها مبتون . الممشى خاليا . ليس فيه إلا مسافر واحد يطل إلى الخارج من وراء زجاج النافذة يتأمل الثلوج المتساقطة .

لعله هو الآخر قد انتحر كما انتحر هو نفسه .

وأخيرا انتهى القطار إلى محطة ووترلو .

وحمل أحد الحمالين حقائبه وأودعها إحدى السيارات وقفز تونى مارفيل إلى السيارة متعجلا الوصول إلى داره ليرى جثته وليرى كيف انتحر .

ما أجمل أن يعود المرء إلى داره حتى ولو عاد منتحرا حتى ولو عاد جثة هامدة .

ولم يدر تونى إن كان يجمل به أن يضحك فى مثل هذا الموقف أم لا .

كان داخل السيارة معتما لا يكاد تونى يتبين فيه شيئا ولكنه أحس بشيء إلى جانبه .

وبسط يده يتحسس هذا الشيء . كان جسد إنسان . وكان مرتديا معطفا له ياقة من الفراء .

واستدار تونى إلى الرجل يتأمل وجهه وعلى شعاع أحد المصابيح التى مرت بها السيارة استطاع أن يتأمل وجهه .. إنه عمه .. عمه الذى مات منذ عدة سنين .

وحملق تونى فى الظلام يتأمل الرجل . ولكن الشبح كان قد اختفى ولم يعد له وجود فى السيارة . ومع ذلك كان يحس بفراء ياقة المعطف تلامس جسده . ياقة من الفراء تكاد تلمس عنقه .

لم يكن للرجل الشبح وجود ولم يكن للمعطف وجود . ولكن الياقة الفراء كانت موجودة .

بل إنها تبعته عندما نزل من السيارة وكانت تحتك بعنقه .

عند هذه النقطة من القصة أمسك سير جريفس مساعد مدير الأمن العام عن الحديث دقيقة أو دقيقتين .

كان يروى قصته فى بطء وتمهل وكأنما يخشى لغرابتها أن لا تصدقه جليسته وأن يخامرها الشك فى أقواله .

ولأول مرة تكلمت جليسته مس جوديت جيتس .

قالت مقاطعة قبل أن يعاود الحديث :

ـ لحظة واحدة من فضلك .

وتطلع إليها مترقبا السؤال الذى سوف تتوجه به إليه .

واستطردت تقول :

ـ هل تريد أن تقول إن هذا الرجل الذى كان يتبعه . الرجل صاحب المعطف ذى الياقة الفراء . أكان هذا الرجل ميتا ؟

ـ لا أدرى إن كان ميتا أم لا . كل ما علمته من تونى أن الرجل كان يختفى ويتلاشى ولا تبقى منه إلا الياقة الفراء ثم يعود فيظهر ثانية . كما علمت منه أن الرجل كان يشبه عمه وأن معطفه كان شبيها بالمعطف الفراء الذى كان يرتديه عمه حال حياته .

وهزت جوديت رأسها وقالت :

ـ وحتى لو فرضنا أن هذا الرجل الشبح الذى يقتفى خطوات تونى هو نفسه العم جيم فإن من المستحيل أن يحاول إيذاء تونى وذلك لأن العم جيم كان يحب تونى وكان شديد التعلق به . ولهذا أوصى له بثروته كلها . ولم يوص لأخيه ستيفن بشىء على

الإطلاق وكان دائما يقول لتوني إنه سيظل يرعاه من السماء بعد وفاته .

فقال جريفس :

ـ وهذا ما قام به فعلا .

فتساءلت مس جوديت جيتس في استغراب :

ـ ولكن كيف حدث هذا ؟

وفي كلمات وئيدة قال جريفس :

ـ إنني لم أقل إن هذا الرجل الشبح كان هو مصدر الأذى وتوني نفسه لم يجر بباله هذا الخاطر على الإطلاق . كل ما كان يعرفه توني هو أنه كان منطلقا في سيارة تاكسي . في شارع تكسوه الثلوج . مما يجعل السيارة عرضة للانزلاق . ولكن الرجل الشبح لا يمكن أن يسمح بحدوث أي أذى لتوني .

طبعا ما كان يمكن أن يحدث أي أذى لو أن السائق كان حذرا على خبرة كافية بقيادة السيارات ، ولكن كان هذا أول يوم تسقط فيه الثلوج فلم يكن سائق التاكسي منتبها إلى الأمر أو آخذا نفسه بالحيطة والحذر .

وحين كانت السيارة على مسافة مائة متر من المنزل انعطف السائق فجأة إلى اليسار ، وشعر تونى أن السائق كان يسير بسرعة كبيرة لا تتفق مع حركة الانعطاف ، مما جعل السيارة تنزلق وتدور حول نفسها ، وظلت مندفعة حتى ارتطمت بشجرة ضخمة وانفجر إطارها ولكن تونى لم يصب بسوء لأنه تشبث بظهر المقعد لأن الرجل الشبح كان يرعاه .

وقال السائق معتذرا فى اضطراب :

ـ كان يجب أن انعطف . نعم كان يجب أن انعطف . لقد رأيت فجأة أمام السيارة عجوزا يرتدى معطفا له ياقة من الفراء . ظهر فجأة أمام السيارة فكان يجب أن أتفاداه .

واستطرد جريفس قائلا :

ـ وهكذا اضطر تونى أن ينزل من السيارة . وأن يعود إلى بيته سيرا على الأقدام .

ولكن تونى لم يكد يسير بضع خطوات حتى أدرك أن هناك من يقتفى أثره .

ولا شك أنك تدركين أن مائة متر بالمسافة الكبيرة . والأمر لا

يتجاوز بضعة أمتار ثم ينعطف يمينا وبعدها ينعطف يسارا حتى يجد نفسه فى البيت .

سار تونى فى خطوات سريعة متجها إلى بيته ولكنه ما لبث أن سمع وقع أقدام وراءه وأن هناك من يتعقبه وتباطأ فى سيره فإذا بالخطوات التى فى أعقابه تتباطأ أيضا فى السير وتحاكيه .

والتفت تونى وراءه وعلى ضوء المصباح استطاع أن يرى المعطف ذا الياقة الفراء يتبعه . أما الرجل الذى يرتديه فلم يكن له وجود .

وحتى هذه اللحظة لم يكن تونى يدرك أن هذا الرجل الشبح ينوى به شرا أو خيرا . ولذلك انطلق يجرى هاربا بدافع من شعور خفى لا يدرى كنهه بيد أننى ألتمس له العذر عن انطلاقه هاربا ، فأى امرئ لا يملك إلا أن يفر هاربا حتى يعرف أن الذى يصاحبه فى سيره رجل ميت . أو معطف يمشى فى رفقته دون أن يحوى جسدا حيا .

كان الرصيف مسودا بسبب الظلام الضارب أطنابه وكانت الثلوج التى تكسو الأرض مغبرة رمادية اللون ولكنه استطاع أن يميز المنعطف الذى سينجرف إليه كما ميز اللافتة المسطر عليها

اسم الشارع بحروف سوداء كبيرة وفى ذعر جارف طغى على قلبه قفز يرتقى المدرج المؤدى إلى داره .

كان بيته مظلما لا ينبعث منه شىء من الضوء وكانت نوافذه موصدة .

ودس يده فى جيبه وتناول المفاتيح وأحس بها باردة فى قبضته وإن لم يكن يدرى أيده هى المثلجة أم المفاتيح . بيد أنه ما لبث أن أحس بالمفاتيح تنزلق من يده وتقع على الأرض أمام مدخل البيت .

وانحنى يبحث عنها فى هذه الظلمة السائدة ولكن بحثه ذهب عبثا . غير أنه فى الوقت ذاته سمع صرير المفتاح وهو يدخل فى ثقب البوابة ، ثم سمع البوابة نفسها وهى تفتح .

وفى الوقت ذاته رأى ذلك الشىء المعهود . ذلك المعطف ذا الياقة الفراء يتقدمه وينفذ قبله من بوابة الحديقة .

وقبل أن يرتقى الدرجات الداخلية ليفتح باب البيت كان " الشىء " المعهود قد سبقه إليها وللمرة الثانية سمع صرير المفتاح وهو يدور فى ثقب الباب .

ومن جديد دخل " المعطف ذو الياقة الفراء " إلى البيت وحين تبعه تونى كانت الردهة تفوح برائحة النفتالين النفاذة ولم يداخله شك فى أن هذه الرائحة إنما كانت صادرة من المعطف .

كان تونى واقفا وسط الردهة والظلام ضاربا أطنابه ورائحة النفتالين تملأ خياشيمه .

ومد يده يتلمس الجدار . بحثا عن زر النور ولكن الخوف الذى طغى عليه شل تفكيره وأنساه مكان الزر .

وذكر تونى عندئذ أن المسدس فى الجيب الخلفى من بنطلونه . ذلك المسدس الذى صحبه طوال ثمانية شهور فى رحلته حول العالم . ودس يده تحت معطفه ليخرج المسدس من جيبه . ولكن حتى هذه الحركة البسيطة اقترنت بالفشل فقد أفلتت أصابعه المسدس . واستقر فوق السجاد . ولم يحاول تونى أن ينحنى لتناول المسدس فقد كان يعلم أن " الرجل الشبح " على قيد أربع خطوات منه وأنه يستطيع فى ضربة واحدة أن يصرعه أرضا فأولى به أن ينجو بجلده ويفر هاربا .. ولم يتردد تونى لحظة واحدة وإنما وثب إلى السلم يطوى الدرجات .

وحين بلغ رأس السلم توقف عند الدرجة العليا واستدار يلقى

نظرة إلى أسفل .

كان " الشيء " لا يزال في الردهة لم يتبعه إلى الطابق العلوى وعلى الضوء المنبعث إلى داخل البيت من مصباح الطريق استطاع تونى أن يرى " الشبح " منحنيا إلى الأرض ليلتقط المسدس من فوق السجادة .

وحدثنى تونى عن هذه النقطة بأنه يذكر أنه حاول عندئذ أن يضيء أنوار الردهة العلوية ثم أسرع متجها إلى مخدعه ووقف أمام الباب ثم دفعه بكل قوة وارتمى إلى الداخل ثم شرع يضيء مزيدا من المصابيح ، واحدا إثر الآخر ، ثم حانت منه نظرة إلى الفراش وتسمر مكانه يحملق مندهشا .

لم يكن السرير شاغرا بل كان هناك من يشغله .

ومع ذلك فالرجل الذى كان راقدا على السرير ظل مكانه لا يتحرك .. لم يجلس ، ولم ينزل إلى الأرض .. لم يزعجه الباب الذى انفتح فجأة ، ولم تزعجه الأنوار التى تألقت على غير توقع .

كان الرجل راقدا على السرير وفوقه ملاءة بيضاء تغطيه من رأسه إلى قدميه ساترة وجهه بيد أن معالم جسده كانت محددة ظاهرة تحت الملاءة .

وعندئذ أقدم تونى مارفيل على عمل يتم بمنتهى الجرأة .

كان يجب أن يعرف من يكون هذا الرجل الذى يرقد فى فراشه .

مشى إلى السرير ومد يده ورفع الطرف العلوى من الملاءة ليكشف عن وجه الرجل الراقد فى الفراش .

نظر إلى وجه الرجل .. بل إلى وجهه هو نفسه .. كان وجهها ميتا ، ولكنه كان وجه تونى نفسه .

وكانت صدمة أذهلته .. ما معنى هذا ؟ تونى واقف أمام الفراش ، تونى الذى ينبض بالحياة .

ثم تونى آخر راقد فى السرير تونى الجثة الهامدة .

نعم .. رجلان متشابهان تماما أحدهما حى تتدفق الحياة فى شرايينه والثانى ميت نضبت من دمائه كل قطرة من الحياة .

أهذا حقيقة لا شك فيها ؟ وهذا وهم وتخيلات ؟

أيكون الرجل الحى حقيقة ، والرجل الميت وهم متجسد ؟

كان تونى لا يزال منتصبا أمام الفراش يحملق فى الجثة التى تشبه تمام الشبه وقد استولى عليه الذهول .

وعلى حين بغتة جاءه من ورائه عبر الغرفة صوت يقول :

- إذن فأنت حى ؟

واستدار تونى ليجد أخاه ستيفن يتطلع إليه فى دهشة وهو منتصب في مدخل الغرفة .

كان ستيفن مرتديا بيجامته والروب ملقى على كتفيه وشعره منقوش كمن هب فجأة من نومه .

أما وجهه فكان ينم عن القلق والانهيار .

وصرخ ستيفن وهو ما يزال يحملق فى أخيه تونى :

- إننى لم أقصد أن أفعل ذلك . ؟

واستمع تونى إلى كلمة أخيه دون أن يدرك لها معنى واضحا وإن كان قد فهم أنها بمثابة اعتراف بالذنب .

وعاد ستيفن يقول بنفس الصوت المضطرب المنهار :

- لم أكن أقصد أبدا أن أجعلك تنتحر وأنت فى الباخرة كان الأمر كله مجرد دعابة . إنك تعلم إننى لا يمكن أن أفكر أبدا فى إيذائك .. إنك تعرف هذا طبعا ، أليس كذلك ؟

كان ستيفن كما سبق أن قلت واقفا فى مدخل المخدع ممسكا طرف الروب يضعه على جسده .

ولكن ما الذى جعله يدير رأسه ويتطلع فى حركة سريعة إلى الردهة وراءه .. ؟ لم يكن لدى تونى أى رد لهذا السؤال أو أى تعليل لهذه اللغة المفاجأة لعله رأى بجانب عينه شيئا فى الردهة فالتفت .

ولكن الشىء المؤكد أن ستيفن التفت إلى الردهة وأنه رأى شيئا فى الردهة ، فقد صرخ فى فزع يملؤ صوته ثم تلت الصرخة صرخات .

بيد أن تونى لم يعد يرى شيئا فقد انطفأ نور الردهة فجأة وطغى عليه شعور من الرعب ولم يعد يقوى على الحركة كمن شلت أعضاؤه فأصبح عاجزا .

فى هذه اللحظ رأى تونى يدا تمتد فى الهواء .. يدا غير متصلة بجسد .. انبثقت اليد من الظلمات التى تسود الردهة ثم استقرت على مقبض باب المخدع ثم جذبته وأغلقته .

ودار من خارج الغرفة مفتاح فى الثقب وأصبح تونى حبيسا فى مخدعه على حين كان ستيفن فى الردهة المظلمة وكان ستيفن لا

يزال يجأر بالصراخ .

واستطرد سير جريفس فى قصته :

- وكان من حسن حظ تونى أنه حبس فى المخدع وإلا تورط فى المشاكل واتهم بقتل أخيه ستيفن .

وكانت مسز ريتش مديرة المنزل تشغل غرفة فى آخر الممشى مجاورة لمخدع ستيفن وقد شهدت أنها استيقظت على صوت صرخات حادة ثم سمعت صوت ارتطام جسم بالأرض وصوت تنفس ولهثات عالية .

وكانت هذه الأصوات صادرة من مخدع ستيفن فلما أسرعت تغادر غرفتها لتتبين الخبر رأت باب الغرفة المجاورة وهو يوصد فاستدارت ذاهبة إلى الردهة وعندئذ سمعت دوى طلق نارى صادرا من غرفة ستيفن .

وسوف تشهد مسز ريتش أمام قاضى التحقيق بأن من المستحيل أن يكون هناك من غادر غرفة ستيفن بعد الطلق النارى فقد كانت عيناها على الباب منذ سماعها دوى الرصاصة ولما واتتها الشجاعة وتماسكت فتحت باب الغرفة .

كان ستيفن طريحا على الأرض مصابا برصاصة فى صدغه

الأيمن وكان واضحا أن الرصاصة انطلقت من مسافة قريبة جدا وأنها أطلقت من مسدس فى يده كما أنه لم يكن فى الغرفة مخلوق سواه وكانت جميع النوافذ مغلقة من الداخل وكان الشىء الثانى الذى لاحظته مسز ريتش هو أن مخدع ستيفن كان يفوح برائحة النفتالين .

توقف سير ستيفن عند هذا وأمسك عن الحديث . ويبدو أنه كان قد بلغ من قصته ختامها .

وقال سير جريفس بعد برهة من السكوت .

ـ لا شك أنك تدركين تفسير هذا اللغز أليس كذالك ؟

وهزت جوديت رأسها ، فقال جريفس :

ـ الذى أحب أن أؤكده لك قبل كل شىء هو أن تونى سليم العقل وأن انهياره العصبى لم يؤد به إلى الجنون ..

نعم .. إنه لم يكن مجنونا أو مخبولا وكل ما تضمنته هذه الحكاية كان حقيقة شهدها تونى فعلا أو أحس بها .

ولكنه كان يصاب من حين لآخر بفقدان الذاكرة نتيجة للانهيار العصبى ، وقد اغتنم ستيفن هذه الحالة فى تدبير مكيدة محكمة لو أنها نجحت لأطلق تونى النار على نفسه حين وجد

المسدس في مقصورته في الباخرة .

ورغم أن هذا الحادث كان سيوصف بأنه انتحار إلا أنه في حقيقته كان جريمة قتل كاملة دبرها ستيفن .

وقالت جوديت متساءلة وهي تتأمل جريفس في لهفة :

- ولكن كيف جرت كل هذه الأحداث ... ؟

وأجاب جريفس :

- فلنرجع إلى الوراء ثمانية شهور ، أي إلى يوم البداية قبل قيام توني برحلته حول العالم .

كان توني رجلا واسع الثراء على حين كان أخوه ستيفن الطبيب رجلا متوسط الحال غارقا في الديون وعلى شفا الإفلاس .

وخطر لستيفن أنه لو مات توني لآلت ثروته إلى ستيفن ولأصبح رجلا غنيا جدا بعد أن كان فقيرا .

ولهذا قرر ستيفن أن توني لابد أن يموت .

ولكن ستيفن لم يكن متهورا حتى يرتكب جريمة قتل مفضوحة فينكشف أمره ويحكم عليه بالإعدام .. وكان ستيفن يعرف أن في وسعه أن يدبر جريمة كاملة محكمة وأن يوفر لها كل أسباب الحيطة ولكنه كان يعرف أيضا أنه ما من جريمة كاملة إلا اعترتها ثغرة

ينفذ منها رجال الشرطة فيقعون على القاتل .

إن رجال الشرطة السريين أذكياء يعرفون كيف يربطون الوقائع وكيف يستنتجون منها تخريجات سليمة وكيف يظنون بالمشتبه فيه يداورونه ويحاورونه ويضيقون عليه الخناق بألسنتهم حتى ينهار ويقع فى براثنهم .

ولهذا فكر ستيفن فى تدبير من شأنه أن يطلق تونى النار على نفسه وبيده شخصيا وهو فى عرض البحر وبذلك لا ترقى الشبهة إلى أخيه ستيفن .

كان ستيفن يتردد على مستشفى سانت جون الخيرية ويجرى فيه للفقراء مجانا بعض العمليات الجراحية واتفق فى أحد الأيام أن شاهد بين المرضى مدرسا سابقا يدعى روبرت هايز . وكان أغرب ما فى الأمر أن هذا الأمر أن هذا المريض شديد الشبه بأخيه تونى . حتى ليكاد أن يكون صورة مطابقة له حجما وملامح وبلغ من هذا التشابه أن بوغت ستيفن وأجفل حيث وقع بصره لأول مرة على المدرس المريض .

وكان هذا المدرس مريضا بالدرن وأجمع الأطباء على أن حياته لن تمتد أكثر من عام .

وانبثقت فى ذهن ستيفن فكرة شيطانية ورسم كيف يتخلص من

أخيه لكي يرثه دون أن يضع نفسه موضع الشكوك والاتهام .

وكان موقفا من المدرس المريض سوف يقبل ما يعرضه عليه ولن يتردد في مشاركته في تنفيذ المكيدة مادام من شأنها أن هايز سيعيش الشهور الباقية له على وجه الأرض في رغد وترف ومادام سيتاح له أن ينفق المال بغير حساب .

وحدث ستيفن صاحبه في الأمر وقال له :

- إنك ستحل محل أخي توني وتنتحل شخصيته وفي غضون ذلك سيكون توني متغيبا عن البلاد في رحلة يطوف فيها العالم استجابة لنصيحتي . وفي الليلة التي سيصعد فيها توني إلى ظهر الباخرة ستكون أنت قد سبقته إليها وفي جيبك مسدس وبعد أن يودع توني أصدقاءه وينزلوا إلى البر عليك أنت أن تستدرجه إلى الصعود إلى الباخرة وتتجه به إلى مكان مظلم . وسيكون السطح عندئذ خاليا من الركاب إذ سيكونون مشغولون بالتطلع إلى الشاطئ فتنتهز الفرصة وتطلق النار على توني وتلقي بجثته في البحر .

وقال سير جريفس مستطردا في حديثه :

- وكانت هذه هي الخطة التي حبكها ستيفن للتخلص من أخيه

وأنت تعرفين طبعا أن الجثة ما إن تسقط فى البحر حتى تتلقفها مراوح الباخرة فتمزقها إربا وتشوه سماتها . ثم لا تلبث الأسماك أن تلتهم الأشلاء . فلا يبقى لصاحبها أثر .

وكان على المدرس هايز أيضا قبل أن يقتل تونى أن يصدر أمره بإنزال حقائبه إلى الشاطئ قائلا إنه عدل عن السفر وبذلك لن يشعر أحد بأن أحد الركاب قد اختفى ، لأن هايز سينتحل شخصيته تونى لما بينهما من شبه شديد . وسيكون قد غادر السفينة على مرأى ومسمع من الجميع .

وعمغمت الفتاة : يالها من مكيدة شيطانية .. ؟

فقال سير جريفس :

ـ أرأيت إذن كيف دبرت بإحكام .. كان المفروض بعد قتل تونى أن ينزل هايز إلى البر باعتباره أنه هو تونى .. ويعيش هايز إلى نهاية حياته متقمصا شخصية تونى متمتعا بأمواله التى سيغدقها عليه ستيفن فى حين يكون تونى جثة هامدة فى بطون الأسماك أو فى قاع المحيط . ولما كانت حياة هايز المريض بالدرن لن تطول أكثر من عام كما قرر الأطباء فإن ستيفن يستطيع أن يروض نفسه على الصبر خلال هذا العام ، حتى إذا قضى هايز نحبه باعتباره تونى آلت الثروة إلى أخيه ستيفن .

وتابع جريفس الحديث قائلا :

ـ كان هذا هو فحوى الخطة الشيطانية .. وهى دون شك جريمة قتل اقترفها ستيفن ، وإن لم يكن كما هو واضح قد لوث يده بدماء أخيه فإن الذى قتله إنما هو المدرس المريض هايز . ولكن الخطة لم تجر كما تمنى . يبدو أن هايز كان رجلا رقيق الإحساس طيب القلب . لقد تلقى العرض الذى ألقاه إليه ستيفن بأتم رضاء فقد أغراه المال وأعمى عينيه . ولكن عندما حانت ساعة تنفيذ الجريمة أحجم ونكص على عقبيه لفرط رقة قلبه ولذلك أبت عليه مشاعره أن يكون قاتلا .. لقد عجز أن يكون قاتلا ..

ألقى بمسدسه على الفراش فى المقصورة وغادر السفينة هاربا ولكنه لم يستطع أن يواجه تونى بالحقيقة ، ولم يجسر على أن يصارحه بأن أخاه تونى حى وأنه لم يقتله . كما كان من صالحه أن يخفى هذه الحقيقة على ستيفن حتى يظل يستنزف منه المال ليعيش فى رغد وترف خلال الفترة القصيرة التى سيعيشها حتى تحين منيته .

وهكذا كذب هايز على ستيفن وأخبره أنه قتل أخاه تونى ورمى بجثته فى البحر ، ورقص ستيفن فرحا وبهجة ومضى يحصى الأيام مترقبا اليوم الذى ستهبط عليه الثروة حين يموت الرجل

الذى انتحل شخصية أخيه .

ولكن يبدو أن هايز وقع فريسة للقلق والاضطراب وعراه انهيار عصبى وقبل موعد عودة تونى بيوم انهارت نفسيته وأطلق النار على نفسه منتحرا .

ـ أحسب أنك الآن قد أدركت تفسير اللغز الغامض .

وأشرق وجه جوديت وهتفت تقول :

ـ حمدا لله . لقد ظننت فى البداية أن تونى هو الذى قتل أخاه ستيفن بعد عودته من الخارج .

فقال جريفس :

ـ ولكنك الآن تعرفين الحقيقة .. تونى برئ .. فإن ستيفن هو الذى انتحر ..

فتطلعت إليه جوديت جيتس . وقالت :

ـ أتظن ذلك حقا .. ؟ أن ستيفن ليس بالرجل الذى يقدم على الانتحار من تلقاء نفسه .. ومع ذلك فما قصصته على لا يفسر اللغز بجميع جوانبه .

فابتسم سير جريفس وقال :

- إننى أدرك ما تقصدين .. إنك تريدين أن تعرفى سر المعطف ذى الفراء . وسر الرجل الشبح الذى كان يقتفى أثر خطوات تونى فى السيارة وفى الشارع وفى البيت أيضا . وكذلك الصرخات التى أطلقها ستيفن وهو فى الردهة المظلمة .

فقالت جوديت :

- أصبت .. هذا فعلا هو ما أبغى أن أعرفه .

فرد سير جريفس فى نبرة غامضة :

- إن أردت أن تعرفى سر هذا كله فلا تسألينى .

فقالت :

- ومن أسأل إذن .؟

- سلى العم جيم .. أو بعبارة أخرى سلى الرجل الشبح ..

الشاهد الوحيد

الشاهد الوحيد

كان سرور ماركو عظيما عندما رأى تيموتى يلجأ إليه فى الوقت العصيب للغاية . ولكنه لم يبد هذا السرور . بل فعل العكس فقد سمح فى هذه الليلة الممطرة ـ مطرا ناعما نفاذا ـ لتيموتى أن يدخل عليه وهو على هيئة من الرجاء والضراعة لا تشوبهما شائبة .

ثم ألم يكن ماركو وتيموتى صديقين فى نظر جميع الناس ؟ أو لم يقدم تيموتى المال لتسديد عجز خطير لحق بالمصنع الذى يملكه ماركو فأبعد عن هذا الأخير متاعب مالية جمة ؟ وكصديق مخلص توجه تيموتى لمقابلة ماركو عندما بدا أن الآنسة شارون باول السمراء الفاتنة تفضله على هذا الأخير .

وعندما فتح ماركو الباب للرجل الذى يبغضه سرا لاحظ بنظرة واحدة الحالة التى كان عليها تيموتى .. ثياب مبللة . ملطخة بالوحل . وجه شاحب . عينان زجاجيتان كما لو كان قد أصيب بالبله .

وكان ماركو يعرف أن تيموتى قد تلقى دعوة على الغداء من الآنسة راندال . وقد قضى ماركو السهرة وهو يغلى حنقا كلما تخيلهما وحيدين فى الشاليه المعزولة التى تملكها الفتاة على شاطئ البحيرة .

ومع ذلك فقد ساعد تيموتى حتى وصل إلى الديوان .

وبدأ تيموتى يغمغم بصوت محطم :

ـ لم أكن أفكر بأى شخص آخر .. لا بد لى أن أقول هذا لأحد ما ... الخير فى انصرافى ..

وتظاهر بالنهوض ولكن أجبره على الجلوس من جديد وقال :

ـ بلا حماقات .

وأحس بنفاد صبر للاطلاع على متاعب تيموتى لدرجة أنه كان مستعدا لإقفال الباب بالمفتاح منعا له من الانصراف .

ـ لقد صنعت حسنا . اهدأ قليلا وحدثنى بما وقع لك .

ولكن تيموتى كان عاجزا كل العجز عن تهدئة روعه . وتوجه ماركو إلى البار وجاءه بشراب قوى . وقبل تيموتى الكأس شاكرا وجرع الشراب دفعة واحدة فأعاد إليه بعض لونه الهارب .

وتمتم بيأس :

ـ ماركو .. لقد قتلت رجلا .

ـ ماذا ؟

ـ رجلا مجهولا . رجلا لم أره من قبل أبدا . لم أكن أعرف أنه هناك إلى أن صدمته السيارة .

جميع المرارة التى تجشمها ماركو فى تلك السهرة تبددت الآن . واتخذ سحقة مواساة حانية . وترك نفسه يسقط على الديوان بالقرب من الرجل العصبى ذى الشعر الأصهب وربت على كتفه وقال :

ـ من الخير يا تيموتى أن تروى لى كل شىء منذ البداية .

وبدأ تيموتى مترددا :

ـ لا أريد أن أزج بك ...

فهزه ماركو بلطف وقال :

ـ حماقة . ما فائدة كوننا صديقين إذن ؟

كانت حاجة تيموتى إلى الاعتراف شديدة الضغط تقابلها طيبة

واضحة واستعداد لتفهم لدى ماركو حتى إن العينين اللتين بلون الأرجوان فى رأس تيموتى غرقتا فى الدموع .

ـ الآنسة راندال وأنا .. شربنا بعض الكوكتيل قبل العشاء وعدة كؤوس بعده . وكنت على بعض النشوة . لم أكن فى حالتى الطبيعية كذلك . غير أنى لم أدرك أن حياة رجل قد وقعت بين يدى ...

ـ هل كنت راجعا من عند الآنسة راندال يا تيموتى ؟

ـ أجل وكنت أسوق بهدوء وأنا أفكر فيها . فى سهرتنا ورأيت الشاحنة تقف أمامى عند المصلبة . ثم تحركت . وأعلم الآن أن السائق كان قد أنزل أحد الركاب . ولم تمض الشاحنة أبعد من المصلبة التى باتجاه المدينة التى يقصدها الراكب .

لم أره قبل اجتياز المصلبة . بغتة كان هناك . على جانب الطريق يلوح لى لكى أقف . وضغطت على الفرامل حتى النهاية فتوقفت السيارة بعنف حتى خيل إلى أنها توشك أن تدور رأسا على عقب ويبدو أنى كنت منطلقا بسرعة كبيرة خلافا لما كنت أحسب ، وأدرت المقود فلامست السيارة جانب التلة . وسمعت صوتا أصم .. تماما كصوت معدن يصدم لحما وعظما .

ولما تماسكت من الوقوف نزلت ولكنى لم أر الرجل كان كأنه سراب فى تلك الليلة الممطرة . شبح غير مجسد لفتى رقيق العود فيه انحناء خفيف . يرتدى كنزة مثقوبة عند المرفقين .

وإنى لأذكر الصوت الأصم الذى سمعته قبل لحظة وبدأت أرتعش وتناولت المصباح الكهربائى من صندوق السيارة وركضت على الطريق ..

ـ وهل وجدته ؟

وزمجر تيموثى ورأسه بين يديه :

ـ أجل . فى دغل على جانب الطريق ووجهه مغطى بالدماء .. وفهمت أنه مات دون ريب ..

ـ كيف عرفت ؟ هل انحنيت فوقه وفحصته ؟

ورفع تيموثى رأسه ببطء وهو يقول :

ـ كلا .. ولكنى عندما رأيت كل هذه الدماء .. أعتقد أن الرعب قد سيطر على فلم أعد أتذكر شيئا إلى أن وصلت إلى هنا ولكن لا يمكن أن يكون قد ظل حيا بجمجمة كتلك التى رأيتها .

ـ هل تركت هناك أية حلقة من سلسلة يمكن أن تؤدى إليك ؟

- لست .. لست أدرى .

- إذن فنمضى ونرى .

- ماركو .. لا أريد أن أزجك فى الأمر ..

- لا تقلق .

قالها ماركو وقد أدار وجهه لئلا يلمح تيموتى الأرق الذى بدا فى عينيه ، وتابع .

- ألسنا شريكين فى أعمالنا ؟

نهض تيموتى عن الديوان بهدوء وقال :

- هل تعلم أنى كنت أحسب دائما أنك لا تحبنى كثيرا . أقصد فى أعماقك . ثم لك أن تحنق على لأنى سلبتك صديقتك .

- دعنا يا تيموتى ولا تحاول أن تكون صغيرا .

كانت الطريق الكبيرة الخالية تمتد أمامهما كأنها شريط طويل أسود زلق . قاد تيموتى السيارة بهدوء وتمتم :

- هنا يا ماركو . على الجانب الآخر من الطريق . كنت أسير فى الاتجاه المعاكس . أعنى نحو المدينة .

كان صوته خفيضا مع أن لا شيء يستدعى ذلك .

وعلا حفيف الواقى الذى يرتديه ماركو عندما نزل من السيارة كان يمسك المصباح الكهربائى بيده وقال :

ـ دع مصباحى السيارة مضائين وإذا ما رأيت سيارة أخرى تصل وتتوقف فانزل وافتح غطاء المحرك كما لو كانت سيارتك قد طرأ عليها عطب مفاجئ .

ـ ماركو ...

ـ أعرف . ستجد الفرصة لتقديم الشكر إلى فى المستقبل .

اجتاز ماركو الطريق بسرعة وبدأ ينزل التلة المجاورة وما إن أصبح أوطى من الطريق حتى راح يبحث على نور مصباحه فى أرض غير مستقيمة انتشرت فيها الأعشاب . وازداد اهتمامه . بالتأكيد هذه هى فرصة حياته . سوف يستعيد بضربة واحدة أعماله وصديقته الصغيرة . فما أن تنتهى مراسم الصداقة حتى يتصل ماركو بالبوليس قبل أن يتاح لتيموتى نقل الجثة ، إن له ضميرا قبل كل شيء . ثم أليس مواطنا يحترم القانون ؟

وأهم ما فى الأمر أنه لو كان تيموتى يملك بعض برود

الأعصاب لاستطاع الخروج من هذه الورطة .

أما الآن فلن يتمكن من ذلك أبدا .

وبدأت الإثارة تحرك في أعماق ماركو الرغبة . وأصبح شعاع النور أكثر عصبية فى بحثه . أين هو هذا الشخص . هذا الميت بحق الشيطان ؟ أين هو هذا المنقذ الذى سيعيد إلى ماركو كل ما سلبه إياه تيموتى ؟

وراح النور ينقب فى أحشاء أكثر الأدغال التفافا . ثم توقف وعاد .

وانحنى ماركو والمصباح فى قبضته القوية . لا بد أن هذا هو المكان حيث سقط الرجل ، حيث رآه تيموتى . فثمة أغصان صغيرة مكسرة من مدة قريبة وآثار جسد ممدد وقمم من الأوراق المبللة قد تحركت عندما هم الرجل بالنهوض .

وحرك ماركو شعاع النور بهدوء . كان سهلا على العين أن تميز آثار الرجل وهو يزحف محاولا النهوض على قدميه . وعلى مسافة ما من الدغل وجد منديلا ممزقا وقد لطخه الدم والوحل . هنا توقف الرجل ليتبين مدى جراحه وليستعيد قواه ويسيطر على جأشه .

وأوغل ماركو فى الدغل يهدهده الأمل بأن يجد الرجل وقد سقط ميتا . كانت عيناه وعقله فى جوع إلى هذا المشهد .

ولكن الرجل كان قد نهض من السقطة ومضى إلى حال سبيله . وكان لا بد من الاقتناع بهذه الحقيقة . وأخيرا أوقف بحوثه على مضض . هؤلاء المتسكعون ما أقل ما يموتون . لا بد أن سائقا آخر قد حمله معه وهو الآن دون ريب فى سرير دافئ بأحد المستشفيات . أما البوليس فلن يبدى إلا أقل اهتمام بهذا الحادث ثم يطرد المتسكع من المدينة .

ـ ماركو .

ورفع هذا رأسه فرأى شبح تيموتى يرتسم على الطريق الكبيرة .

ـ ماركو .. ماذا جرى ؟ أين أنت ؟

وصرف ماركم بأسنانه لدى سماع صوت صاحبه . حتى هذه الليلة لم يكن يدرك إلى أى مدى كان يتمنى إزاحة تيموتى من طريقه إلى أن حانت قبل قليل اللحظة المناسبة . وخطرت له فكرة عندئذ .

كان تيموتى يجهل أنه وحيد . لم يشعل المصباح الذى أطفأه عندما كف عن البحث وقال دون أن يرفع صوته عاليا جدا :

ـ عد إلى السيارة يا تيموتى إنك تلفت أنظار من قد يمر بنا هل جننت ؟ سألحق بك حالا .

وأطاع تيموتى . فلما وصل ماركو كان قد جلس وراء المقعد .

ـ لنذهب من هنا يا تيموتى .

ـ لماذا تأخرت كل هذه المدة ؟

ـ أرجوك يا تيموتى . لم أتأخر بقدر ما خيل إليك ، كان على أن أعثر على الشخص ، ثم فكرت فى ما ينبغى لنا فعله . خطر لى أن أخرجه من حيث كان وأن أجد له مكانا نخفيه فيه .

ـ إذن فهو قد ...

ـ .. مات بالطبع يا تيموتى .

وخنق تيموتى تنهيدة وحشرجة .

قال ماركو :

ـ اصغ . أنا شديد الأسف ..

ـ أنا قاتل يا ماركو .. قاتل ..

ـ لا أرى ..

ـ قاتل .. قاتل ..

راح يرددها تيموتي وهو يقبض بيده على المقود .

ـ أنا قاتل .. وليس هناك ما يستطيع تبديل هذا الواقع ..

ـ حسنا . لا ينبغي لك أن تتصرف على هذا المنوال .. يجب أن نفكر في الأمر .

وقال تيموتي وهو يجهش بالبكاء يائسا :

ـ لحظة .. كنت فتى شريفا ، صديقا للقانون والنظام العام له خطيبة وعنده عمل مهم . أما الآن فلم أعد سوى قاتل . وأبدا لن تعود الأمور إلى مجاريها كما كانت في السابق .

وأخذه ماركو بكتفيه .

ـ هذا صحيح . ويجب أن نواجه هذا الواقع .

ـ ماركو .. إني أخاف مواجهة البوليس .

ـ لست بحاجة لمواجهته . سيكون ذلك جنونا كنت قد شربت

عندما صدمت الرجل . سيحكمون عليك بالعقوبة القصوى .

تمشت الرعدة فى جسد تيموتى فترك رأسه يهوى على طرف المقود .

فقال ماركو وهو يضربه على كتفيه بتحبب :

ـ هيا يا صاحبى .. بعض الشجاعة . ثمة طريقة للخروج من الورطة

ـ حقا .

ـ بالتأكيد . سوف أساعدك يا تيموتى .

ـ كيف ؟

ـ سنعود إلى منزل فأعطيك كل ما لدى من سيولة نقدية وسيكون أمامك الوقت الكافى للذهاب بعيدا قبل اكتشاف الجثة ولن يكتشفوا أمرك أبدا .

ـ تقصد أنه .. ينبغى لى أن أرحل .

ـ تلك فرصتك الجيدة يا تيموتى .

ـ ولكنى أخسر حصتى من العمل وخطيبتى .

ـ توجد أعمال أخرى وخطيبات أخريات . أمامك عشرون عاما يا تيموتى .. فإذا أردت أن تفسد هذا العمر مع خسارة الأشياء التى ذكرتها ..

وهز ماركو كتفيه وتابع :

ـ سأعمل كل ما أستطيع لمساعدتك هذا كل ما فى الأمر . لا لأرى مخرجا آخر إلا الرحيل السريع البعيد الذى لا عودة منه . ولا تنظر إلى الأمر نظرة قاتمة يا تيموتى . فلست أول إنسان يحصل له مثل هذا الشىء .

وهدأ روع تيموتى وانتصب ثم مد يده ووضع المفتاح فى " الكونتاك " وأدار المحرك وسر ماركو لأن الظل كان يخفى ابتهاجه .

وأخذ المصعد حتى الطابق الرابع حيث يقيم ماركو . وفتح هذا الأخير الباب وأضاء المصباح فى الصالون .

وربت على كتف تيموتى قائلا :

ـ ابتسم يا صاح . سوف تبدأ حياة جديدة تحت اسم جديد وعلى بعد ألوف الكيلومترات من هنا وكل هذا الذى نحن فيه يصبح بعد قليل مجرد حلم مزعج . لنر كم أستطيع أن أعطيك ؟

مشى تيموتى حزينا نحو النافذة وفتحها . وتنفس بعمق . كان المطر قد كف عن الهطول . وبدأ الليل صامتا .

وعاد ماركو :

ـ هاك خمسمائة دولار يا تيموتى قد لا يكون مبلغا ضخما ولكن إذا ما اقتصدت أمكنك أن تعيش به فترة طيبة .

أخذ تيموتى المبلغ وراح يتأمله كما لو لم يكن يعى حقيقة الأمر ثم أخفاه فى جيوبه . وافترت شفتاه عن ابتسامة بلا بهجة وتمتم بصوت حالم :

ـ قاتل .. هل تعلم يا ماركو أن الأمر يتبدل كثيرا بعد مرور الصدمة الأولى إذ تختلف النظرة كليا إلى الحياة .

ـ لا تفكر فى القضية يا تيموتى .

ـ لم لا ؟ عندما تقدم على قتل إنسان فإن الحياة البشرية تأخذ فى عينك قيمة مختلفة جدا . وربما كان الأصح أن أقول إنها تفقد هذه القيمة تماما .

وبدأ ماركو يشعر بانزعاج وقال :

ـ تيموتى .. عليك أن تفيد من كل دقيقة لكى تبعد قدر الإمكان .

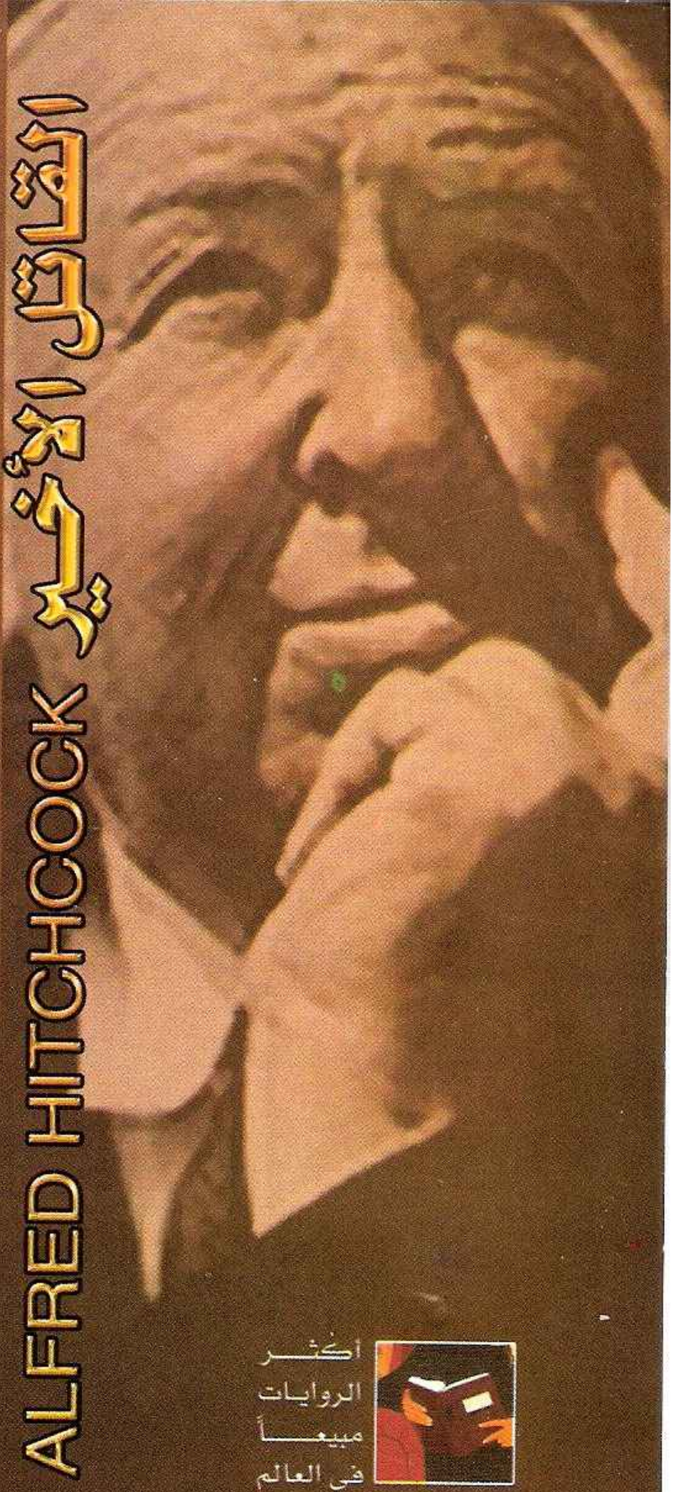
ـ هذا ما لايضايقني يا ماركو .. يضايقني عندما أفكر إني سأفقد عملي وخطيبتي حقا . وبخاصة أن شخصا واحدا يمكن أن يورطني في القضية . فالمطر قد تكفل بإزالة آثار عجلات السيارة عن الرابية وباستطاعتي إحراق حذائي إذا كان قد ترك أثرا هو أيضا هناك . وهكذا لا يبقى أمامي سوى شاهد واحد . عنيت أنت يا ماركو .

وقبل أن يجد ماركو الوقت لقول كلمة ما تلقى لكمة على فكه . وعندما انهار على الأرض تناوله تيموتي بكلتا يديه وطوح به من النافذة المفتوحة ثم دفع السجادة حتى تدلت من النافذة . الأمر الذي جعل القضية معقولة . وقد أسف جميع الناس لما حدث لماركو وكيف انزلقت به السجادة فسقط من النافذة ومات .

تالماج باول

القاتل الأخير

ALFRED HITCHCOCK



اكثر
الروايات
مبيعاً
في العالم

INTERNATIONALITY
العالمية للكتب والنشر